٢٠٢٥

نظرات في عقل الإخوان

ماهر فرغلي
كاتب مصري

التكوين التربوي للتنظيم الخاص لجماعة الإخوان

لم تكن جماعة الإخوان منذ إنشائها عام ١٩٢٨ حركة سلمية، بل تزامن مع إنشائها تأسيس «النظام الخاص» الذي قصد به وضع بذرة جيش إسلامي موكل إليه القيام بالعمليات المسلحة إن لزم الأمر، في سبيل حماية الجماعة والدفاع عنها وعن أفكارها، وكان الأفراد الذين ينضمون إليه يمرون بمرحلة مهمّة وهي التكوين التربوي ليكون مؤهلًا لأن يكون عضوًا عاملًا به.

أعضاء النظام الخاص... الاختيار والتكوين

شكّل الإخوان مجموعة مكوّنة من محمود عبد الحليم، وصالح عشماوي، وعبد الرحمن السندي، وحسين كمال الدين، وعلام محمد علام، ويُطلق عليهم مُسمّى (المكوِّنين)، وهم متخصصون في العمل التجنيدي واختيار أعضاء النظام الخاص. يقول محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان أحداث صنعت التاريخ»: يقابل المكوِّن الشخص (المرشح للانضمام إلى النظام) على انفراد في مكان محدد كمنزل ويكون الضوء مناسبًا، بحيث يكون للمقابلة الأثر المطلوب في نفس الشخص، ويتم التكوين في عدة جلسات؛ الأولى التعارف، والثانية، روحية، والثالثة تتم فيها التوجيهات اللازمة، ثم تكليف الشخص بكتابة وصيته، ويسلمها للقائم بالتكوين، وفي الرابعة يتم الاختبار بتكليف صامت وفي مكانٍ ناءٍ مع تكليف

حسن البنا

شخص آخر بمراقبتهن وفي الخامسة يكلف الشخص بعمل له، ويتم تقييمه، وفي حالة النجاح في الاختبار السابق يقدم الشخص للبيعة في القاهرة، وتلزم البيعة عناصر النظام الطاعة للقيادة ولأمراء الجماعات والتذكير بالميثاق على مواصلة الجهاد.

وحرصت الجماعة في بداية تأسيس النظام الخاص على أن يكون عبارة عن جيش من هيئات ثلاث: القيادة، والأركان، والجنود، وتتكون القيادة من مجلس مكوّن من (١٠) أشخاص، ومهمتها دراسة طرق التنفيذ لما يصل من خطط صادرة من الأركان، وتنفيذ كل ما هو ممكن عمله، وإصدار بيانات يشترك فيها جميع الأعضاء، وبيان الصعوبات القائمة في طريق تنفيذ ما يراه المجلس غير قابل للتنفيذ.

وينقسم عناصر النظام الخاص في وقت السلم إلى (٣) أنواع؛ الأول يمكن أن يكون بعيدًا عن النشاط الظاهري، وهذا النوع يجب أن ينقطع انقطاعًا تامًا، ويمكن تكليفه بدراسات أكثر اتساعًا وأعمال أكثر خطورة، والنوع الثاني لا يبتعد عن النشاط الظاهري ويكون معدًا ولا يستخدم أبدًا إلا وقت الحرب العلنية، ويلاحظ أن يجري تدريبه في حرص تام، والنوع الثالث، ويمكن أن يتشكّل من الناحية العامة إلى الخاصة.

يوضح محمود الصباغ في كتابه «التنظيم الخاص» أسلوبين من أساليب التجنيد لأعضائه، الأول عند بداية التكوين، وكان الأسلوب المتبع هو أن يرتبط العضو بعبد الرحمن السندي بصفته المسؤول عن إعداد هذا الجيش، وكان أول ما يتعاهد عليه من يكتشف الأخ الصالح للارتباط بهذا الجيش مع العضو الجديد، هو تميز هذا الجيش عن الدعوة العامة بالسرّية الكاملة في أقواله وأفعاله، فلا يصح الحديث في شأنه، إلا مع زميل من أعضائه الذين يتعرف عليهم بوساطة قيادة النظام، وكان أول ما يختبر به جدية العضو الجديد فيما أعلنه من رغبة صادقة في الجهاد في سبيل الله أن يكلف بشراء مسدس على نفقته الخاصة، وقد تطور، بعد ذلك، أسلوب تجنيد الأعضاء بعد استكمال البناء التنظيمي للنظام الخاص، فأحد أفراد الجيش يرشح شخصًا يرى من روحه من يناسب التجنيد، ثم يرسل الترشيح إلى القيادة العليا، مرفقًا به بيان الأسباب التي دعت

الفرد إلى هذا الترشيح مع تقرير شامل عن حالة المرشح الصحية والاجتماعية، وطباعه البارزة، وميوله الحزبية وثقافته، ويذكر أمام كل حالة التفصيلات الخاصة بها، ويكفي الميل لأيّ حزب آخر كي يرفض الترشيح رفضًا باتًا، إذ يجب أن يكون المرشح مؤمنًا تمامًا بصلاحية الدعوة كمبدأ، وأنّه متى توفر هذا الإيمان التام، فإنّه يمكن ضم أيّ شخص، ولو كان ذا عاهة، إذ إنّ لكل عمل ما يناسبه، ومجلس القيادة هو الذي يقبل المرشح أو يرفضه.

تبدأ بعد مرحلة اختيار العضو وعملية الإعداد والاختبار للعضو البيعة في القاهرة، بصحبة باقي أفراد جماعته، ويكون ارتباط أفراد الجماعة لأول مرة وقت البيعة. يقوم رقم (١) بتوصية الأفراد بحق الطاعة لأميرهم بعد البيعة مباشرة، وفي حالة الرسوب في أحد الاختبارات السابقة يلحق الشخص بأسرة، أو ما شابه ذلك من الأعمال العامة، وفي حالة النجاح يعرف الشخص أنّ ما فات كان اختبارًا وقد اجتازه بنجاح، وأنّه الآن في انتظار أوامر حقيقية.

وتبدأ مرحلة التكوين، ويقول محمود الصباغ: «تتكون مرحلة التكوين للعضو الذي تم تجنيده للانضمام إلى النظام الخاص من خطوات أربع، مدة كل منها (١٥) أسبوعًا، تتضمن الأولى دروساً في المحاسبة وكتابة التقارير، ودراسة السلاح، وطريقة جمع الأخبار، ودروسًا في القرآن الكريم، والإسعافات الأولية، وتدريبًا رياضيًا، وبعد الانتهاء من الدراسة تعقد القيادة امتحانًا في ما ورد فيها، ينقل الناجحون فيه إلى المرحلة الثانية في التكوين، وتشمل دراسة قانونية، ودراسة عملية وتطبيقية في مجال رسم الخرائط وتقدير المسافات ودراسة البوصلة، وبعض التدريبات الرياضية والروحية. ويُجرى امتحان ينتقل من يجتازه إلى المرحلة الثالثة التي تشمل تعليم قيادة الدراجة النارية والسيارة، والإسعاف وتدريبات رياضية، إضافة إلى دراسة منطقة معينة في القاهرة والأقاليم ورسم خريطة جغرافية لها وبيان الأبنية المهمة تفصيليًا. كذلك يُجرى امتحان يؤهل من اجتازه للمرحلة الرابعة التي تشمل قيام كل فرد من أفرادها بحصر قوات الشرطة في قسم معين، وحصر قوات المرور وأماكنهم في منطقة معينة، ودراسة عملية لمدينة القاهرة، وذلك ببيان أحيائها وعلاقة بعضها بالبعض الآخر، ومسالكها، ومواصلاتها، وكيفية مهاجمة مكان ما، ودراسة حربية، وبعض الدروس في القانون

وتدريبات رياضية ودراسة في التعقب يقوم بها كل فرد. ثم يعقد امتحان يكون من اجتازه قد اكتسب العضوية الكاملة في التنظيم الخاص للإخوان.

ملاحظات على التكوين الإخواني للنظام العسكري

من خلال مذكرات أعضاء التنظيم الخاص العسكري للإخوان يتبين أنّ أسلوب تجنيد العضو قد تميز بالتعقيد الشديد، والدقة البالغة، وأنّه لا يكتسب العضوية الكاملة إلا بعد فترة طويلة من التكوين تشمل العديد من الاختبارات الدقيقة، كما تشمل عملية التكوين الجوانب الروحية والاجتماعية والنفسية بالنسبة إلى الشخص المرشح للانضمام إلى العضوية، بحيث يتم دمج العضو في الجماعة دمجًا كاملًا، كما أنّ هذه المرحلة تتسم باكتسابه العديد من المهارات الرياضية والعسكرية وجمع المعلومات والأخبار وإعداد التقارير. كما أنّها تتسم بطول الفترة، فمرحلة التكوين تتم خلال (٦٠) أسبوعاً تسبقها مرحلة الاختبار، وهي تستغرق حوالي (٨) أسابيع، فإجمالي هذه الفترة حوالي (٦٨) أسبوعاً، أي حوالي سنة ونصف السنة، وهي فترة طويلة يخضع خلالها العضو المرشح للمراقبة وللعديد من الاختبارات الدقيقة، النظرية والعملية.

يتم إلزام العضو المرشح بضرورة الكتمان وعدم إفشاء السر وإلّا تعّرض للموت، وقد جاء في هذا الصدد أنّ أيّ خيانة أو إفشاء سر، بحسن قصد أو بسوء قصد، تُعرّض صاحبها للإعدام، وإخلاء سبيل الجماعة منه مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة، ويتم إلزامه كذلك بالثقة التامة في قيادته المباشرة، فلا يجوز له رفع الأمر إلى القيادة الأعلى إلا عن طريق رقم (١)، ومخالفة ذلك ينظر فيها مجلس للتحقيق.

كما أنّ التجنيد للتنظيم العسكري في مفهوم الإخوان لا يتوقف عند إبداء العضو رغبته في الانضمام إلى الجماعة، بل يمتد إلى مرحلة قد تطول أو تقصر بحسب نوع العضوية التي سيرشح لها العضو الراغب في الانضمام، يتعرّض خلالها العضو المرشح لإعداد فكري ونفسي وبدني ومهاراتي يتناسب ونوع العضوية المرشح لها ودرجتها، وإنّ عملية تكوين العضو المرشح للجناح العسكري الخاص

عبدالرحمن السندي

تبدأ بمحاولة دمجه كاملًا في الجماعة، وتتم هذه العملية على مراحل بحيث يشعر العضو أنّ هذا أمر طبيعي، وقد أشار إلى ذلك قاتل النقراشي باشا في اعترافاته أمام المحكمة، حين قال إنّه انتقل إلى العمل في النظام الخاص للإخوان بشكل تدريجي طبيعي ولم يشعر بأيّ جديد في الأمر.

والملاحظ أنّ عملية الدمج هذه كانت تتم من خلال إحاطة العضو بسيل من الواجبات التي تحيط بحياته كلها، وترسم له أعماله وسلوكه اليومي وعلاقاته الشخصية وأدق تفاصيل حياته. واتباع هذه التعليمات يجعل العضو عضوًا بالجماعة في كل لحظة من لحظات حياته، فيمارس نشاطه اليومي ليس باعتباره فردًا عاديًا ولكن باعتباره عضوًا وأخًا مسلمًا، بحيث يصبح كما لو كان يستمد وجوده المادي من الجماعة، ويخلق فيه ذلك الطواعية والسلاسة لجماعته، فيشكل مع الآخرين مجتمعًا مغلقًا يحيا أفراده حياتهم اليومية وفق تعليمات وضعها قيادتهم، لا يشاركهم أحد في الالتزام بها من خارجهم، وبهذا يذوب الأفراد في الجماعة وفي زعيمها المجسّد لها المبايع على السمع والطاعة بوساطة أمور لا تتعلق بهدف سياسي معين ولا بمنطق عقلي واضح ولا بنشاط عام محدد، وإنّما يذوبون بالانسياق من الداخل، وعلى الرغم من أنّ عملية الدمج الكلي للعضو في الجماعة تُعدّ شاملة للأعضاء كافة، فإنّها تتم بدرجة أكبر بالنسبة إلى درجتين مهمتين من درجات العضوية، وهما درجة المجاهدين ودرجة أعضاء النظام الخاص، وهما المسؤولان اللذان سيمارسان العنف السياسي في أوضح صوره كالاغتيال السياسي مثلًا، الأمر الذي يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من أنّ أسلوب تكوين العضو بعد تجنيده يؤهله لممارسة العنف السياسي، وفي هذا الصدد يقول مرشد الجماعة السابق، عمر التلمساني: الدين لا يعرف شيئًا اسمه سياسة، ولكنّ الدين ينظم حياة الفرد في جميع النواحي، كيف يأكل ويشرب، ويتاجر ويتزوج، كيف يحكم وكيف يُحكم، وكيف ينام، حتى إنّ أحد الأعراب قال لبعض الصحابة: لقد علّمكم الرسول كل شيء حتى قضاء الحاجة. إنّ القول إنّ الإخوان يعملون في السياسة هو قول غريب، ونحن نشتغل بالدين.

العمل الخيري
الواجهة الرئيسية
لتمويل جماعة الإخوان

اعتمدت الجماعة على العمل الخيري كواجهة تجمع من خلالها التبرعات والأموال للتنظيم، لذا أنشأت مئات الجمعيات التي تقدّم خدمات للفقراء والمحتاجين. وعلى الرغم من الدور الاجتماعي لهذه الجمعيات، فإنّها كانت أيضاً وسيلة لتحصيل التمويل من مصادر محلية ودولية، ممّا ساعدها في بناء إمبراطورية مالية قوية تحت غطاء العمل الإنساني، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الوقف الإسلامي والجمعيات والمدارس المرتبطة بها في فرنسا.

الوقف الإسلامي وسيلة رئيسية لتمويل التنظيم

الوقف الإسلامي هو أداة تمويلية تعمل على تعزيز تنمية الجالية المسلمة في فرنسا، من خلال تلقي أموال الزكاة والصدقات والتبرعات، واستخدامها في دعم المشاريع والأنشطة الثقافية والتعليمية والاجتماعية التي تخص الإسلام والمسلمين. وهي واحدة من المؤسسات الرئيسة المكلفة بإدارة أصول وممتلكات الإخوان في فرنسا، وقد تم إنشاؤها من قِبل مجلس مسلمي فرنسا: الفرع الفرنسي للتنظيم الدولي للإخوان.

يوجّه الوقف تمويله نحو (٣) أهداف أساسية؛ هي دعم المعاهد الدينية والقرآنية الملحقة بالمساجد والمراكز الثقافية الإسلامية، ودعم إنتاج الأعمال التي تقدّم الإسلام لعامة الناس ببُعده الحضاري والتاريخي، ودعم المدارس الإسلامية الخاصة. ويُشترط في هذه المعاهد والمدارس، وفي أيّ أنشطة اجتماعية

وخيرية يمولها الوقف، أن تكون تحت تصرف اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، وخاضعة بشكل كامل لسلطته؛ أي سلطة الإخوان.

في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ٢٠٢٣ داهمت السلطات الأمنية مقر جمعية الوقف الفرنسية، ومقرها في سين سان دوني، وهي جمعية وفق أهدافها تعزز تنمية الجالية المسلمة في فرنسا من خلال دعم المشاريع والهياكل ذات الاهتمام المشترك، مثل دعم المدارس الإسلامية الخاصة.

وعلى الرغم من أنّ مسؤولي الوقف يؤكدون أنّه لا يتلقى أيّ تمويل أو إعانات من الدولة، فإنّ تقارير إعلامية فرنسية متواترة أفادت أنّه يحصل بالفعل على مساعدات حكومية كبيرة بمئات الآلاف من اليوروات سنوياً على شكل خدمات وإعارة مبانٍ. وبشكل عام، يعتمد في الحصول على الأموال من التبرعات الخاصة التي يتم جمع أغلبها من خلال موقعه الإلكتروني ومنصات التواصل الاجتماعي التابعة له، ودعم المؤسسات الاقتصادية التابعة للإخوان عبر آليات تمويلية معقدة، إلى جانب عائدات استئجار عقارات في ملكيته في مدينتي بوندي وليموج. ويرأس الوقف في الوقت الحالي الحاج التهامي بريز، أحد القادة التاريخيين للإخوان في فرنسا، وأحد مؤسسي اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا ورئيسه السابق.

المدارس أبرز أدوات تمويل الجماعة

أنشأت الجماعة شبكة واسعة من المدارس الخاصة التي حملت طابعاً دينياً، واستطاعت بفضل نفوذها السياسي في بعض الفترات أن تحصل على دعم حكومي غير مباشر، والاستثمار في العملية التعليمية، التي تدخل مئات الآلاف من اليوروات للجماعة. وهذه المدارس لم تكن فقط مصدراً للتمويل، بل كانت أيضاً وسيلة لزرع الفكر الإخواني بين الأجيال الجديدة، ممّا ساعد على استمرار دعم الجماعة مالياً وإيديولوجياً. إضافة إلى ذلك، توسعت الجماعة في إنشاء الجامعات والمراكز التعليمية الخاصة، التي لم تقتصر على فرنسا فقط، بل امتدت إلى دول أخرى، وهو ما ضمن للجماعة تدفقات مالية مستمرة.

لم تكن المدارس مشاريع تعليمية دينية فقط، فحين يتم استخدام الإسلاموفوبيا، وتخويف الأقليات المسلمة من المدارس الأخرى التي تحرم الحجاب واللباس الإسلامي، تصبح مدارس الجماعة استثمارية وتمويلية لها إلى أكبر حد، وهي تنقسم إلى مدارس حكومية (تضم أكثر من ٨٠٪من الطلاب)، ومدارس خاصة بموجب عقد شراكة مع الدولة، وتقع مدارس الإخوان في فرنسا ضمن النوع الثاني.

ويأتي استثمار الحركة في قطاع التعليم في سباق تزايد مستمر في الهجمات على العلمانية المسجلة في المدارس، والتي تغذيها أنشطة الدعاة عبر الإنترنت، وقد تمّ تسجيل (٣٠٨٦) هجوماً على قيم الجمهورية الفرنسية. وورد في التقرير الفرنسي المقدم للحكومة أنّ ثانوية ابن رشد، وثانوية الكندي، تقدّمان تعليماً متطرفاً، وتستقبل (٥٠٠) طالب في المرحلة المتوسطة، و(٢٠٠) طالب في المرحلة الثانوية، والتدقيق الذي أجراه مكتب التحقيق الإقليمي كشف أنّها تلقت تمويلاً غير مشروع من قبل المركز الإسلامي في فيلنوف داسك، الذي كشفت عنه تحقيقات الصحفيين كريستيان شينو وجورج مالبرونو في كتاب «أوراق قطر». وأنّ بها أوجه قصور خطيرة في الموارد التعليمية المتاحة للطلاب، ووجود أعمال ذات محتوى يتعارض مع القيم الجمهورية.

ويبرز دور فاتح ساريكير، رئيس منظمة «ملي غوروش» في فرنسا والأمين العام للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، في إنشاء المدارس، والمتهم بـ «خدمة الإسلاموية التركية». ورغم أنّ الاتحاد لا يمتلك بالفعل هيكلاً لإدارة المؤسسات الإسلامية الخاصة، إلا أنّ بعض المدارس استفادت من دعم مالي من الاتحاد. على سبيل المثال في كورباي-إيسون، تأسست المدرسة عام ٢٠١٣ داخل مسجد البلدة، وتضم ٢٥٠)) طالباً من الروضة إلى المرحلة الثانوية.

لفت برونو بيلدي انتباه وزير الداخلية إلى الدعم المالي والترويج للجمعيات المرتبطة بالإسلام المتطرف، ففي عام ٢٠٢٣ دفعت المفوضية الأوروبية أكثر من (٨٠٠) ألف يورو لجمعيات مرتبطة بجماعة الإخوان. وتفوض المفوضية إدارة أربعة برامج إيراسموس إلى جمعية دينية. وتتمتع الجمعيات الخاضعة لقانون عام ١٩٠١

بحرّية كبيرة في أساليب تمويلها، ممّا يعفيها من الإبلاغ عن تمويلها. وباسم التنوع، تموّل بعض المؤسسات جمعيات دينية، وهو ما يشجع نفوذ الإخوان في فرنسا وأوروبا.

الجمعيات الإسلامية وسيلة تمويل الجماعة الأبرز

تضمّ فرنسا أكثر من (٢٥٠) جمعية إسلامية على كامل أراضيها، منها (٥١) جمعية تعمل لصالح الإخوان، وعلى سبيل المثال: التجمع لمناهضة الإسلاموفوبيا، وجمعية الإيمان والممارسة، ومركز الدراسات والبحوث حول الإسلام، والمعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية، ومعهد ابن سينا لتخريج الأئمة، وهذه الجمعيات تمارس نشاطاً سياسياً، وتعمل لصالح الجماعات المتطرفة.

ومن أبرز هذه الجمعيات: التجمع لمناهضة الإسلاموفوبيا، ومؤسسة الشيخ ياسين (التي تم طرد رئيسها عبد الحكيم الصفريوي عام ٢٠٢٠)، وجمعية الإيمان والممارسة، ومركز الدراسات والبحوث حول الإسلام، والمعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية، ومعهد ابن سينا لتخريج الأئمة، وأوروبا تراست، وهي وفق صحيفة (دي فيلت) الألمانية، تخدم الإخوان كأداة مالية مركزية للترويج للمشاريع في جميع أنحاء أوروبا.

وفي دراسات وتقارير سابقة، وصف لورينزو فيدينو (أوروبا تراست) بأنّها «واحدة من أهم منظمات جماعة الإخوان التي تدير أموال شبكة الجماعة وعقاراتها، وأوضح أنّ المؤسسة «تعمل بهدوء، لكنّها مهمة للغاية بالنظر إلى مهمتها»، وهذا هو السبب في أنّ الأشخاص الذين شاركوا في إدارة (أوروبا تراست) على مر الأعوام، وبينهم إبراهيم الزيات وصبري شريف، من كبار أعضاء جماعة الإخوان.

و(أوروبا ترست) منبثقة من (نكتار ترست) التي تقوم بالتمويل بشكل مباشر، وهي ذراع مؤسسة قطر الخيرية، التي تم تسميتها بهذا الاسم عام ٢٠١٧ في لندن، من أجل إخفاء أنشطتها المشبوهة بعد تزايد الاتهامات بتورطها في تمويل

الإخوان، ليس في بريطانيا وحدها بل في عموم أوروبا، وهي تقوم بتجميع الأموال لمشاريع مثل (شيفيلد لندن- أمانة الإيمان)، وتتلقى موارد مالية من خلال تبرعات من منظمات وأفراد، وعلاوة على ذلك تحصل الشركة على إيرادات من خلال الاستثمار في العقارات وتأجيرها، والحصول على أموال من دول خارجية.

وقد أسهمت في مشروع معهد آيزنبرغ للدراسات التاريخية في شاتو دي شينون، في عام ٢٠١٥ بباريس، إضافة إلى دعمها مركز النور في فرنسا، وجمعية الإصلاح الاجتماعي في ستراسبورغ، فرنسا، وهو مبنى متعدد الأغراض على مساحة (٢٥٠٠) متر مربع يتألف من مدرسة للدراسة الدينية، واتحاد الهيئات والجاليات الإسلامية في ميلانو، إيطاليا، ودعمت المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية (IESH)، وهو مؤسسة تعليمية إسلامية مقرها فرنسا، ينشر الفتاوى لِتوجيهات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، التابع لمجلس مسلمي أوروبا. وتخضع مؤسسة (أوروبا ترست) لسيطرة مجموعة من كبار قادة شبكة الإخوان الأوروبية، وتشارك في مجموعة متنوعة من الأنشطة المالية تدور في الأغلب حول تجارة العقارات، والتي بدورها تخدم غرض تمويل مختلف كيانات الإخوان الإرهابية، وتتخذ من العمل الخيري والتنموي في أوروبا غطاء لتحركاتها منذ تأسيسها في عام ١٩٩٦، بقرار من اتحاد المنظمات الإسلامية، المنظمة المظلية للإخوان في القارة العجوز، وفق دراسة أعدها مركز توثيق الإسلام السياسي التابع للحكومة النمساوية.

وأهمّ الجمعيات هي منظمة الإغاثة الإسلامية العالمية، التي شارك في تأسيسها عام ١٩٨٤ إحسان شبيب وهاني البنا وكاظم الراوي، وكانت ميزانيتها في عام ٢٠١٣ (١٢٦) مليون دولار أمريكي، ووفق موقع إخوان ويكي، فإنّ أحد الإداريين في منظمة الإغاثة الإسلامية هو عبد الوهاب نور ولي، وهو أيضاً عضو في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وقد أصبح محمد الشماوي المدير التنفيذي لمنظمة الإغاثة الإسلامية في ٢٠١٢، وكان من قبل مديراً للإغاثة الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن بين إداريها أيضاً إبراهيم الزيات.

وقد أكّد بحث أجراه الصحفي الأمريكي المتخصص في شؤون مكافحة الإرهاب ستيفن إمرسون، في إحدى دراساته عن الإخوان التي تؤكد أنّ المنظمة

وجميع المنظمات التابعة لها الموزعة على شكل جمعيات ومنظمات وهيئات مستقلة هدفها الجوانب الثقافية والعلمية والاجتماعية والدينية، أكّد أنّها ليست أكثر من واجهات «إخوانية» في تيار عالمي له أبعاد سياسية مدروسة، مشيراً إلى أنّ العديد من الجمعيات والمنظمات الإسلامية على علاقة بجماعة الإخوان المسلمين، وتعمل على بناء مجتمعات موازية داخل أوروبا بقيم تختلف عن قيم المجتمع الأوربي وعاداته. لقد قامت المنظمة بتنظيم هياكل حول نشاطها الاجتماعي في فرنسا لا سيّما إدارة مراكز الإيواء، وبناء صناديق وقف، وخصصت ما يقرب من (٣٥) مليون يورو في عام ٢٠٢١ لمنظمات خارجية.

إضافة إلى منظمة Humaiterre التي أنشئت في عام ٢٠١٨ ونشاطها الرئيسي هو جمع التبرعات للشعب الفلسطيني ويرأسها إمام المسجد الكبير في بواتييه، بو بكر الحاج عمر، أمين الصندوق السابق لاتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، وجمعية الوقف الإسلامي، وهي فرع من اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا يهدف إلى جمع الأموال من فرنسا والخارج، وتخضع لتحقيق أولي بتهمة تمويل مشروع إرهابي.

وتُعتبر الأكاديمية الأوروبية للتمويل والاقتصاد الإسلامي (إيفي) إحدى مؤسسات التنظيم الدولي، ورغم أنّها مؤسسة بحثية تعليمية، وأعلنت على صفحتها أنّ هدفها (تقديم خدمات التعليم المستمر والتدريب والاستشارات والبحوث والتحكيم في مجال التمويل والاقتصاد الإسلامي) إلا أنّها تتخادم مع الجماعة، ويترأسها المصري أشرف دوابة منذ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٦، وهو كاتب في «مجلة المجتمع» الكويتية.

نماذج قادها التحريض الإخواني إلى الهلاك.. تعرف إليها

لو أردنا الكتابة عن ثلاثة نماذج قادها التحريض الإخواني المتواصل إلى طريق التهلكة، فلن نجد أفضل من عبدالرحمن الغرابلي، ومالك الأمير عطا، وأحمد جلال، وكلهم انضووا فيما بعد تحت تنظيم بيت المقدس الإرهابي وجماعة أجناد مصر.

من الجامعة إلى رابعة

دفعت الظروف عبدالرحمن الغرابلي (٢١عاماً)، من محافظة بورسعيد، الطالب في السنة الأخيرة في كلية الإعلام، أن يدخل إلى ميدان رابعة، من أجل تغطية ما يجري في الاعتصام، خلال فترة تدريبه في إحدى الصحف.

كان هادئ الطباع، ومرح الوجه، وطيب القلب، ووفق أصدقائه كان شاعراً وأديباً، ولم ينتخب محمد مرسي في الانتخابات الرئاسية.

أما أحمد محمد أحمد (٢٢ عاماً)، الطالب بكلية الهندسة، وشهرته «مالك الأمير عطا»، من محافظة الغربية، فقد دفعته الأقدار أن يقيم في القاهرة بالقرب من ميدان رابعة فترة دراسته بالجامعة، وكان يمر يومياً عليه، ويستمع لتلك الخطابات الساخنة من فوق منصته.

في نفس التوقيت كان أحمد جلال أحمد محمد إسماعيل، مهندساً، يخطو أولى خطواته إلى الميدان الذي قرر الإخوان جعله بؤرة ساخنة.

«يمثل مصير عبدالرحمن الغرابلي ومالك الأمير عطا وأحمد جلال نموذجاً لعواقب التحريض الإخواني»

يصدح عبدالرحمن البر، مفتي الإخوان بكلماته على منصة ميدان رابعة: «لدينا ١٠٠ ألف شهيد للقتال»، ويقف بجواره على المنصة عطية عدلان قائلاً: «نحن انتهينا من مرحلة الدعوة إلى الإسلام في مصر، والآن نُصرّ على بناء الدولة الإسلامية!».

وبعد أنّ هدّد عاصم عبدالماجد بجيش يأتي من صعيد مصر إلى مقر وزارة الدفاع المجاور لميدان الاعتصام، يقف الشيخ جمال عبدالهادي ليروي سردية أحلامه وكيف رأى محمد مرسي يؤم الرسول عليه السلام في الصلاة!

يهتف الجميع الله أكبر، وتعلو أصوات الأناشيد الجهادية من مكبرات للصوت معلقة بجوار الخيام، وترفرف الرايات السوداء، ولافتات الجماعة الإخوانية.

يكمل محمد البلتاجي الكلمات مهدداً: «لن يقف الصدام المسلح في سيناء إلا بعودة الرئيس مرسي»، وينطلق صوت النشيد «ثوري ثوري.. بالدم بالدم» ويهز الشوارع المجاورة.

بين الخيام كان يجلس (داوود خيرت، توفيق فريج، محمد الظواهري، محمد كمال) يتلقون البيعات من مجموعات وخلايا تم استقطابها من الميدان.

يلتقي عبدالرحمن الغرابلي بمحمد عفيفي، صاحب مطعم، جاء من محافظة كفر الشيخ، وكان مسؤولاً عن تأمين أحد مداخل الميدان، وهو من عرّفه على توفيق فريج زيادة قائد التنظيم في سيناء.

أما مالك الأمير عطا وأحمد جلال فتم استقطابهما على يد همام محمد عطية، الذي كان عائداً من سويسرا، منخرطاً في الاعتصام، وقرر أن يعمل منفرداً في بناء تنظيم أطلق عليه فيما بعد (أجناد مصر).

التحول الفكري

كان ما جرى لهذه الشخصيات الثلاث هو نفس حجم ونوع التحول الذي حصل لمحمد بكري هارون، ومحمد محمد نصر، وهاني مصطفى أمين، وبلال صبحي فرحات الذي أكد عقب القبض عليه، أنهم تعاهدوا في ميدان رابعة على أنهم سيشنون أكبر قدر من العمليات الإرهابية ضد الأجهزة الأمنية.

التقى توفيق فريج بتلك المجموعة فبايعوه كلهم: محمد عفيفي، وبكري هارون، والغرابلي، وكلهم نسقوا مع محمد كمال، رئيس اللجنة الإدارية لجماعة الإخوان، فلم تكن هناك أمور أيديولوجية يمكن الاختلاف عليها.

من داخل الميدان نجحوا في تشكيل خلايا في المطرية بالقاهرة، والقليوبية، والجيزة، وكفر الشيخ، والمنصورة، والسادس من أكتوبر، وقنا، وبني سويف، والشرقية، وكانوا يكلفون المجنَّدين الجدد لحمل قنابل المولوتوف والأسلحة لحماية الاعتصام.

أقرّ أحد هؤلاء الشباب، حسن جمال أحمد شحاتة، أنه التقى بهاني مصطفى أمين الملقب بـ«أبو بلال»، (تم تنفيذ حكم الإعدام فيه، مع خلية عرب شركس)، واتفقا على ضرورة تحجيم القبضة الأمنية على التيار الإسلامي، وأعقبه لقاء آخر، اتفقا فيه على الإعداد للمواجهة عقب الاعتصام.

وبينما التجهيزات تجري على قدم وساق للمواجهة، كانت الوفود تروح وتجيء تحاول حل الأزمة وفض الاعتصام سلمياً، قال الشيخ السلفي محمد حسان: إنّ الدولة كان لديها نية لتجنب إراقة الدماء، وقد ذهبت بنفسي إلى جماعة الإخوان، في شقة بمدينة نصر، واتفقت معهم على فض الاعتصام،

ثم ذهبت إلى المجلس العسكري، وعدت مرة أخرى إلى جماعة الإخوان لأُفاجأ بتنصلهم من الاتفاق!

وكذا قدم ياسر برهامي القيادي السلفي شهادته على تكليفه من قبل المجلس العسكري بالذهاب لقيادات الإخوان لإقناعهم بالانصراف بهدوء مع وعد بممارستهم للعمل السياسي، إلا أنّهم رفضوا.

لقد كانت الجماعة تريد القفز على إجابة السؤال من قبل أعضائها: لماذا فشلتم؟ ولماذا تظاهرت الملايين لتخرجوا من قصر الاتحادية؟ كان لا بد من صناعة كربلائية ومظلومية تتخذ وسيلة لتجنيد العناصر المسلحة المستجدة، وصناعة أزمة للدولة.

منصة الاعتصام كانت لا تزال تهدد وتتوعّد، إلا أنّ قمة وعيدها كانت في كلمات مرشد الإخوان محمد بديع، الذي فوجئ به المعتصمون، قبل الفض بثلاثة أيام.

اقترب ميعاد فض الاعتصام، وكانت طائرات الهيلوكوبتر في هذا الوقت تحلق في الأجواء وتلقي رسائل الداخلية على رؤوس المعتصمين تدعوهم للانصراف بهدوء، وممارسة العمل السلمي.

يجتمع قادة الجماعة في مسجد رابعة العدوية المجاور، ثم يخرجون ببيان رافضين فض الاعتصام والانصراف من الميادين والشوارع.

قبل الفض بيومين كانت الجماعة تحشد أفرادها من المحافظات البعيدة في سيارات وأتوبيسات متكفلة بمصاريف النقل والإيواء.

استغل قادة السلفية الجهادية ما حصل ونجحوا في الاستقطاب وإعادة برمجة عناصر من المعتصمين، فلم يكن هناك فروق كبيرة فكرية، فالجميع الآن يؤمن بما يسمى (شوكة النكاية) لهذا النظام السياسي الجديد.

«استغل قادة السلفية الجهادية ما حصل ونجحوا في الاستقطاب وإعادة برمجة عناصر من معتصمي رابعة»

في يوم الفض صدحت مكبرات صوت قوات الأمن داعية للانصراف بهدوء في ممرات آمنة، لكن كان ذلك دون جدوى؛ إذ كانت هناك متاريس من الحوائط الإسمنتية، والأطفال والنساء.

يفرّ قادة الإخوان قبل الفض بيومين، ويتحرك آخرون في الميدان بطريقة مريبة في عمارة (المنايفة) المجاورة للميدان، ومنطقة طيبة مول، يقول الإخواني أحمد المغير: «طيبة مول» هذا المكان المطل على شارع أنور المفتي، لقد كان مكان إقامة «الجهاديين»، وهم سرية سيظلون مجهولين للأبد، وكان معهم معظم السلاح في رابعة.

يسقط أول شهيد من الشرطة المصرية وهو الملازم أول محمد جودة، الذي كان يمسك مكبر صوت وينادي بالخروج الآمن، وتندلع المواجهات المسلحة.

يفر عبدالرحمن الغرابلي إلى سيناء، ويتولى مسؤولية لجنة الإعلام في تنظيم بيت المقدس، الذي سيبايع داعش بعدها بسنوات.

ويصبح مالك الأمير عطا، هو الذراع اليمنى لقائد جماعة أجناد مصر، يقول «ياسر معجزة، (٢١ عاماً)، يسكن فى حلوان، أحد أعضاء حركة «أحرار»، عنه: «إنه من أسرة حالتها المادية متيسرة، وأعد نفسه فى أكثر من عملية لـ«الثأر» من النظام الحالي، وهو وراء قتل العديد من قوات الأمن في مصر».

ولما تم الوصول إلى همام محمد عطية قائد أجناد مصر وقتله، كان الثالث وهو أحمد جلال يعمل بجد، من أجل إعادة بناء وترميم التنظيم، الذي تلقى ضربة كبيرة بمقتل زعيمه.

«مثّلت كربلائية اعتصام رابعة التي صنعها قادة الجماعة الإجابة عن سؤال الشخصيات الثلاث»

في هذه الفترة كان قد بدأ قائد اعتصام رابعة محمد كمال تنظيم ما يسمى بلجان (العقاب الثوري)، وكتائب حلوان، وغيرها من الأسماء الكثيرة، التي خرجت متوالية، لتضليل الأجهزة الأمنية، ولتصعيب المهمة عليها.

أصبح عبدالرحمن الغرابلي، وأحمد جلال، ومالك الأمير عطا من أخطر العناصر الإرهابية، فالأول قيادي في التنظيم السيناوي، والثاني هو من نجح في إعادة تشكيل وترميم أجناد مصر، وهو من خطط للحصول على الأسلحة من ليبيا وإدخالها عبر الصحراء الغربية، وكان يملك أكبر مخزن للسلاح، به ٥٠٠ قنبلة، مركبة، وجاهزة للتفجير، قبل الوصل له في شارع اللبيني بمنطقة الهرم.

وأما مالك الأمير فهو من استهدف التمركز الأمني المكلف بتأمين محيط جامعة القاهرة بتاريخ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٤، وهو من وضع العبوة الناسفة التي أسفر عنه العديد من الإصابات، كما رصد قسم شرطة الطالبية تمهيداً لوضع عبوة مفرقعة بمحيطه، وظل لمدة يومين يرصد المكان المناسب لوضعها، ثم أحضر معه عبوة مفرقعة أسطوانية الشكل، موضوعة بداخل كيس بلاستيكي أسود، وهي عبوة مصممة للتفجير بمجرد محاولة إبطال مفعولها، ووَضَعه خلف إحدى السيارات المتوقفة أمام محطة الوقود الملاصقة لديوان قسم شرطة الطالبية.

كما أنّه هو من استهدف القوات الشرطية المكلفة بتأمين محيط قصر القبة، فظل يرصد تلك القوات لمدة أسبوعين، ثم وضع العبوة الناسفة المرتبطة بتلفون محمول، واستهدف بنفسه ضباط الشرطة المتمركزين بممر بهلر، ووضع عبوة مفرقعة مموهة على شكل حجر أسمنتي، ونفّذ عملية دار القضاء العالي وسينما راديوبيس.

في نفس العام ٢٠١٧ قُتل طالب كلية الإعلام، جامعة الأزهر عبدالرحمن الغرابلي في مدينة العريش بسيناء، وطالب كلية الهندسة جامعة القاهرة مالك الأمير في مدينة الجيزة، وأما خريج الهندسة أحمد جلال فقُتل في منطقة المعادي بالقاهرة.

لقد كانت كربلائية اعتصام رابعة التي صنعها قادة الجماعة، هي الإجابة عن سؤال الثلاث شخصيات.. كيف يتحولون؟ وكيف بعدها يَقتُلون ويُقتَلون؟.. إنها تلك الصورة، والمظلومية الإخوانية، التي وصلتهم طيلة ٣ شهور كاملة عن علاقة النظام السياسي بالشعب، وشكل المواجهات التي تحدث مع تيارات الإسلام السياسي على العموم، هو الدافع الأكبر، الذي جعلهم يكفرون بالسلمية، ويشكلون أجنحة عسكرية سرية، وفي النهاية أصبحوا ضحية مجموعه من المحرضين فاقدي الإنسانية، الذين لا يزالون بعد كل تلك السنوات يتاجرون بنفس القضية.. رابعة.

الإخوان
وصناعة «البيزنس» الآمن

حرص مؤسس جماعة (الإخوان المسلمين) حسن البنا على أن يكون لجماعته قدرات اقتصادية قوية، لذا فقد أقامت الجماعة بعده المدارس والمستوصفات والمستشفيات والمزارع والمشروعات العقارية وشركات مواد البناء والنقل والمواصلات، وتجارة الجملة والتجزئة في المواد الغذائية والخردوات والملابس الجاهزة وغيرها.

كما أقامت الجماعة العديد من المشروعات الاقتصادية اختلفت ما بين أنشطة التعدين والمحاجر إلى الغزل والنسيج والطباعة والنشر والإعلام، وكان معظمها في شكل شركات مساهمة، إلى جانب العشرات من الشركات الصغيرة التي غطت مختلف المحافظات المصرية واهتمت بأنشطة عديدة.

وعقب الربيع العربي اعتمدت الجماعة إنشاء جهاز اقتصادي وتمويلي وضع خطة كبيرة لصناعة بيزنس آمن بعيداً عن أعين الأجهزة الأمنية.

البيزنس من البنا إلى محمد مرسي

نقلت كتابات مؤرخي الجماعة وقادتها أنّه في عهد البنا أنشأت الجماعة شركة المعاملات الإسلامية، وهي شركة مساهمة كان الغرض منها تأسيس وإدارة مشروعات اقتصادية متنوعة، على أساس التمويل الإسلامي، وأنشأت الشركة العربية للمناجم والمحاجر، ومصنعاً كبيراً للبلاط والإسمنت بجميع أنواعه، ومصنعاً للنحاس، وورشة ميكانيكية كبرى، وشركة الإخوان للصحافة، وشركة المطبعة الإسلامية، وشركة التوكيلات التجارية، وشركة الإعلانات العربية التي تأسست عام ١٩٤٧، واشتغلت بأعمال الدعاية والإخراج.

عقب الربيع العربي اعتمدت الجماعة إنشاء جهاز اقتصادي وتمويلي وضع خطة كبيرة لصناعة بيزنس آمن بعيداً عن أعين الأجهزة الأمنية

اعتمدت اقتصاديات الجماعة على إنشاء الشركات السابقة التي كان يديرها قادة مختصون، واشتراكات الأعضاء، والتبرعات من الأفراد والمؤسسات والشركات، لصالح التنظيم وجمعياته الخيرية، وكذلك أموال الزكاة والصدقات والتبرعات من الأغنياء أو كبار رجال المال والأعمال والملاك، ومعونات ومساعدات رجال أعمال وجمعيات إسلامية في أوروبا وأمريكا.

وفي فترة التسعينات تحولت اقتصاديات الجماعة إلى شركات التوظيف التي أصبحت غير قانونية وتعرضت لضربة أمنية كبرى أفقدتها قوتها، وتمّت محاكمة مؤسسيها وإيداعهم السجن، ممّا دفع الجماعة إلى الهروب لمشاريع متوسطة مثل المكتبات والمدارس ومعارض السلع التي كانت تقام في النقابات والجامعات.

يقول عمار علي حسن في حديث عن «الرأسمالية الإخوانية»: إنّ الجماعة في العصور التي تلت البنا اعتمدت الشراكة التي قامت في الغالب الأعم على «محلل» أو «شريك وسيط» من خارج مصر، وهذا خلق طبقة تالية من التجار الصغار، الذين أفادهم الممسكون بأموال الجماعة من خلال إقامة مشروعات

« في مطلع عام ٢٠١٨ وضعت الجماعة خطة للتعامل مع الأوضاع الأمنية والخسائر الفادحة التي لحقت بالهيكل التنظيمي للجناح الاقتصادي داخل مصر»

صغيرة ومتوسطة لهم، على هيئة متاجر ومطاعم وورش، في سبيل تدوير رأس المال، الذي يفقد قيمته أو قوته الشرائية بمرور الوقت نظراً لارتفاع معدل التضخم، وكذلك جلب المنفعة لقطاعات أعرض من الجماعة، التي تحوّلت بمرور الوقت إلى كيان اجتماعي له قوام خاص، عليه أن يواجه التضييق عليه بتصريف أموره داخلياً، جنباً إلى جنب مع امتلاك الأموال التي تخدم الأدوات والآليات التي تنتهجها الجماعة في سعيها الدائم والدائب نحو التمكن من المجتمع والدولة. وأموال الإخوان هي جزء من أدوات ربط الفرد بالجماعة، ومساعدة «الأسرة الإخوانية» في امتلاك القدرة على المواجهة المستمرة، لا سيّما في أعوام التضييق. ومنها كان يتم دفع النفقات الشهرية للأسر التي تم اعتقال عائلها، ومنها تساعد الجماعة بعض المنتمين إليها في رحلات تعليمهم أو مواجهة ظروف صحية صعبة، ومنها أيضاً تقوم الجماعة بدورها في تطبيب المجتمع المعوز، من خلال الاهتمام بمساعدة الأيتام والفقراء عبر الصدقات الدائمة أو الموسمية المتقطعة. وهي قوة اجتماعية طالما تمكّن الإخوان من حشدها للتصويت لمصلحة مرشحيهم في مختلف الانتخابات التي خاضوها. وقد ظهر الأمر بجلاء عقب الثورة، حين قام الإخوان بتوزيع سلع تموينية على الفقراء في بعض المدن أملاً بالحصول على أصواتهم.

الإخوان عقب الربيع العربي والسقوط

كتب عبد الخالق فاروق في كتابه «اقتصاديات جماعة الإخوان المسلمين في مصر والعالم»: بلغ حجم أموال الجماعة حين تولى محمد مرسي الحكم (١٠٠) مليار جنيه. ووصلت الحصيلة المجمعة للإيرادات السنوية للتنظيم الإخواني في

مصر عام ٢٠١٢ ما قدره (٦٦٩٤٫٥) مليون جنيه إلى (٧٠٦٩٫٥) مليون جنيه، موزعة على: الاشتراكات (١٤١٫٥) مليون جنيه، التبرعات الداخلية والخارجية (٣٩٠) مليون جنيه، متوسط حصيلة الزكاة في الداخل والخارج (٢٥٦٣ إلى ٢٩٣٨) مليون جنيه، أرباح مشروعات داخل مصر (١٥٠٠) مليون جنيه، أرباح خارج مصر (٢١٠٠) مليون جنيه، ليكون الإجمالي قدره (٦٦٩٤٫٥) مليون جنيه إلى (٧٠٦٩٫٥) مليون جنيه.

كتاب «اقتصاديات جماعة الإخوان المسلمين في مصر والعالم» لعبدالخالق فاروق

وفي تصريح خاص لعضو إخواني منشق، فإنّه عقب عزل مرسي من السلطة بمصر حولت الجماعة لجنة البر التي كانت مسؤولة عن العمل الخيري إلى لجنة المُضارين، لكي تقوم برعاية أسر الجماعة ومسجونيها، كما تحولت لجنة نشر الدعوة إلى نشر الوعي من أجل التواصل مع الجماهير وتكوين رأي عام مناهض، ووضعت اللجنة الإدارية العليا استراتيجية جديدة عُرفت لاحقاً بخطة «الإنهاك والإرباك ـ الإفشال ـ الحسم»، وكان منها إرباك الاقتصاد المصري، وذلك عن طريق التالي:

١) بناء خلية بمنطقة الخليج، في الكويت والبحرين، لتغيير مقرات الدول التي استخدمتها الجماعة في غسل الأموال، حيث أظهرت التقارير مزاولة عناصر نسائية وشركات لأنشطة وهمية في عدة دول، كما قاموا بعمل كيانات اقتصادية تعمل في مجالات الاستيراد والتصدير، وصناعة العطور في عدد من الدول العربية، والصرافة، والدواء، واستخدمت أعمالهم الممتدة في عملية تهريب الأموال من الخارج إلى عناصر الجماعة داخل مصر.

٢) الانضمام إلى جمعيات خيرية، ومكاتب استشارية هندسية ومحاسبة تابعة لهم في الكويت والبحرين، متخفين حول نشاطاتهم لجمع معلومات

«قامت الجماعة ببناء خلية في منطقة الخليج مهمتها غسيل الأموال»

اقتصادية وسياسية لدراسة متطلبات الأسواق العربية اقتصادياً، ودراسة المؤشرات لعدد من الدول العربية، وذلك لأهداف تتعلق بالجماعة.

٣) إصدار أوامر صارمة من الجماعة بعدم تحويل الأموال عبر البنوك لأسرهم في مصر، وأن يسلموها إلى رجال أعمال مصريين في هذه الدولة، على أن يقوموا بصرف قيمة تلك الأموال لأسرهم بالجنيه، وذلك للاستفادة من فارق تحويل العملة، وتسريب الدولارات من الدولة المصرية إلى الخارج.

وفي أوراق قضية نائب المرشد محمود عزت ورد أنّ الجماعة أسست شبكة سرية تم ربطها بكيانات اقتصادية غير معروفة، تتولى مهمة تهريب الأموال المتدفقة من الخارج لدعم العناصر والخلايا الكامنة داخل مصر، وهي شركات تعمل في مجالات تجارية مختلفة بعضها تمتلك فروع ولديها أنشطة في دول عربية وأجنبية، وكانت الخطة تقضي بالضغط على موارد النقد الأجنبي لدى البنك المركزي وسحب الدولار من السوق حوالي (٢ إلى ٣) مليارات دولار كل عدة شهور، ويتم ذلك بشكل مستمر، أي نحو (٥٠٠) مليون دولار شهرياً، مع زيادة حدة المضاربة على الجنيه المصري في ظل التوقعات باستمرار ارتفاع سعر الدولار، وقيام الناس العاديين بتخزين الدولار سواء التجار أو الصناع، وهو ما يخلق طلباً إضافياً على الدولار مع تخزين العملة الصعبة خارج الجهاز المصرفي المصري، إضافة إلى تشجيع المصريين بالخارج على وقف التحويلات مع تحويل الودائع المصرية بالجنيه إلى شهادات دولارية وسحبها بعد فترة، وشراء المنتج المستورد دون المصري، وذلك لتشجيع الاستيراد وإلحاق أكبر ضرر بالشركات المؤيدة للدولة، ووجوب نشر عدد كبير من الشائعات الاقتصادية التي من شأنها نشر الفزع والإحباط بين المواطنين.

كما أسس الإخوان شركات تزاول أنشطة وهمية في عدة دول هدفها التغلب على إجراءات الأجهزة الأمنية، في مجال رصد وتتبع مصادر تمويل عناصرها وجناحها العسكري داخل البلاد، واختراق منظومة الرقابة على الأموال المتدفقة من الخارج، وعلى هذا تم تشكيل كيانات اقتصادية تعمل في مجالات الاستيراد والتصدير، وصناعة العطور في عدد من الدول العربية.

واعترف محمود عزت أنّه في مطلع عام ٢٠١٨ وضعت الجماعة خطة للتعامل مع الأوضاع الأمنية والخسائر الفادحة التي لحقت بالهيكل التنظيمي للجناح الاقتصادي داخل مصر، استهدفت الحفاظ على ما تبقى من مجموعات سرّية وبيزنس آمن.

إخوان مصر
وكيف صنعوا الصحوة

نشأت الصحوة في أوائل السبعينيات؛ نتيجة خروج عدد من الإخوان إلى خارج مصر بقيادة سعيد رمضان، وهم الذين أثّروا تأثيراً كبيراً في عموم الإقليم، وهم أنفسهم الذين سيعيدون إنشاء التنظيم الدولي وينتقلون إلى أماكن أكثر بُعداً في أمريكا وأوروبا.

الهجرة إلى الصحوة

يقول الأستاذ فاضل سليمان في الحوار المتمدن: «بعد فشل الجهاز السري لجماعة الإخوان في اغتيال الرئيس المصري جمال عبد الناصر، هاجر العديد منهم إلى عدد من الدول، ومن ضمنها دول الخليج، وعملوا للسيطرة على قطاع التربية والتعليم لتحقيق (٥) أهداف رئيسية؛ وهي: «الترويج لفكر الإخوان المسلمين، والترويج لمؤلفات مفكري الجماعة مثل سيد قطب ويوسف القرضاوي، ونشر مؤلفات الإخوان في المكتبات المدرسية والجامعية ووسط الطلاب والطالبات، وتوجيه التربية المجتمعية وفقاً لمنهج الإخوان، وأخيراً السيطرة على المنح والبعثات الدراسية ومحاولة اقتصارها على الجماعة».

وكما قال الباحث عبد الله الرشيد في دراسة له: «كان مرسوماً لأعضاء الجماعة الذين لجؤوا إلى السعودية السيطرة على (٣) مجالات؛ وهي: «التعليم، والجمعيات الخيرية، والمؤسسات الإسلامية ذات الأدوار السياسية.

وعن التنظيم الدولي واستخدامه الأراضي السعودية يقول يوسف القرضاوي، وفق ما نقله الباحث عبد الله بن بجاد العتيبي: «التنظيم الدولي للإخوان

المسلمين كان يعقد اجتماعات في مكة المكرمة والمدينة المنورة أثناء مواسم العمرة والحج».

وتقول هدى الصالح: في موسم حج عام ١٣٩٢، الموافق كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣، انتهز الهضيبي فرصة الحج فعقد أول اجتماع موسع لجماعته في مكة المكرمة، وكان هذا الاجتماع هو الأول من نوعه منذ ١٩٥٤، وفيه نظم الهضيبي العمل الحركي في السعودية عبر (٣) لجان: لجنة جدة، ولجنة الرياض، ولجنة الدمام، وفي دول الخليج: نظم العمل في (٣) لجان كذلك: لجنة الكويت، ولجنة قطر، ولجنة الإمارات، لكنّ القدر لم يمهل الهضيبي طويلاً، فتوفي بعد أشهر من حجته تلك، ولكن بعد أن أطلق العنان لأعمال وبرامج ومشاريع «الصحوة».

وورد في وثيقة لاجتماع آخر بقيادة الهضيبي، باسم مسؤول الاتصال (أبو عبد الرحمن)، رسم سياسة العضوية وشؤون الدعوة والمسؤولين عنها في الخليج، ودور قيادات الخارج المؤسسين الذين فروا إلى خارج البلاد، وتشير الوثيقة إلى كيفية تمدد الجماعة، ومنها المكتبات ودور النشر، وحلقات التلاوة بالمساجد، وغيرها من الوسائل الأخرى، التي يعقبها فيما بعد ما يُسمّى (الربط)، وكان من الواضح من سياق الوثيقة أنّ الصبر والمثابرة والبناء الهادئ هو مرحلة من مراحل العمل الإخواني، إلا أنّها تتطور فيما بعد لتشمل التنسيق مع الجماعات الأخرى والعاملين في الحقل نفسه، وهو ما أكدته الورقات.

تمدد الصحوة

كانت خطة الإخوان التمدد في الأقطار العربية، خاصة داخل المملكة العربية السعودية، وتوحيد قنوات الاتصال بين الخارج والداخل، حتى لا تتعدد مصادر التلقي. يقول عبد الله بن بجاد: من أجل مراعاة الظروف الأمنية تم تعيين نقيب من مصر يقوم بمهمة الربط، خاصة بين الدارسين العرب والأجانب في مصر، وبين بلدانهم التي سيعودون إليها، ثم أخيراً تتولى الكنانة الإشراف والتوجيه المباشر في مجال التربية والمعلومات، وهذا كله الذي ورد يتواصل ويسير كما هو حتى الآن، وهو الذي أدى فيما بعد إلى قيام ترابط وثيق بين الأجزاء التي تؤلف كفاءات إخوانية، سواء من

سعيد رمضان

الجنود والمسؤولين، والاستفادة من الإمكانات المادية، لتعمل الجماعة وهي لديها أكثر من بديل، مع سهولة الاتصال وإحكام القنوات، وسيولة المعلومات، والربط الدائم.

يقول الكاتب خالد العضاض في موقع قناة (العربية): عند استلام عمر التلمساني زمام الجماعة في ١٩٧٦، ومع توسع العمل، وجدت الجماعة أنّه من المناسب أن يتسلم «الإخوان السعوديون» القيادة من المكلفين سابقاً من قبل الهضيبي، بعد فترة من الفراغ القيادي الظاهري في الجماعة، والذي استمر (٤) أعوام تقريباً، وكان هناك دور في هذه الفترة لرموز مثل القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، ومصطفي مشهور الذي انتقل إلى الكويت، ومحي الدين هلال، وعبد الرحمن أبو الخير، وغيرهم من الرموز الأخرى، ومن يدير الجماعة وقتها حلمي عبد المجيد أو «المرشد الخفي»، كما كان يطلق عليه، وقيل لجنة مكونة من (٣) أشخاص، وهذا التطوير المستمر والتغيير لم يكن مقتصراً على السعودية فحسب، بل كان في كل بقعة من العالم للإخوان فيها موضع قدم. وكان هناك في هذه الفترة دور كبير، ولذلك نشأت (الصحوة الخاصة) وهي الخاصة بالسعودية، و(الصحوة العامة) وهي الصحوة التي تعني عودة نسبة من المسلمين في العالم أجمع إلى التدين وفقاً لمفاهيم واجتهادات شرعية معينة، أسهم الإخوان في صياغته، وصناعتها عبر مجموعة هائلة من الأدبيات والمناشط، وأسهمت في بلورتها كذلك مجموعة من الانشقاقات التنظيمية، بسبب الخلافات النظرية والحركية داخل الجماعة، إضافة إلى ما تقتضيه ضرورات ما شق من الجماعة أو انشق عنها قصداً لتولي مهام معينة، نفياً للتهمة عنها، وحفظاً لصورتها من أن تهتز أمام الدول والمجتمعات المحلية، ابتداء من جماعات التكفير والقتال، إلى حالات «الليبرو إسلاموية».

أصبح في هذه الحقبة للإخوان قادة حركيون منهم: سالم نجم، والدكتور محمد طلبة زايد بالكويت، ومناع القطان بالسعودية، والقرضاوي بقطر، وعز الدين إبراهيم بالإمارات، ومحمد المأمون، المشرف على الدعوة بعمان واليمن، وكان مصريون آخرون على رأسهم «عبد الرحمن عبد الخالق» المصري الأصل، ينشرون السلفية الحركية في الكويت وما جاورها.

يذكر علي عشماوي في كتابه التاريخ السرّي للإخوان موقفاً له مع زينب الغزالي يقول فيه: «تطرق الحديث إلى سؤال منّي عن علاقتها بالمملكة العربية السعودية فأجابت: إنّ العلاقة الجيدة مهمة جداً لأمن (الإخوان) الموجودين في المملكة العربية السعودية». ويضيف: «وقد حمّلتني الحاجة زينب الغزالي رسالة شخصية بهذا المعنى إلى الأستاذ سعيد رمضان، ورسالة أخرى إلى الشيخ عبد الرحمن أبو الخير، وقالت لي إنّه سكرتير الملك سعود، وأعطتني رقم هاتفه الخاص».

وينقل تحت عنوان «قيادات المهجر» سؤاله لمحيي هلال، أحد الإخوان الذين هاجروا إلى السعودية، قائلاً: «وبعد أن سمعت قصته سألته عن حال (الإخوان)، فأجاب: إنّ (الإخوان) في السعودية قد اختاروا مناع قطان مسؤولاً عنهم، و(الإخوان) في إمارات الخليج اختاروا الأخ عز الدين إبراهيم مسؤولاً، وأنّه أخذ خطاباً وذهب إلى الأستاذ سيد قطب، وقرأ الخطاب وأبدى إعجابه الشديد بالإخوة في السعودية، وقال: إنّ هذا دليل على أنّهم منظمون جداً، وأنّهم على كفاءة عالية من العمل.

وفي كتاب «الحركات الدينية في الخليج» لباقر النجار أنّ مأمون الهضيبي الذي أصبح مرشداً عاماً للجماعة جاء لاحقاً إلى السعودية بغرض الحج، ثم التحق بالعمل في قسم الحقوق العامة وقسم الحقوق الخاصة بوزارة الداخلية السعودية، ثم ذهب إلى مصر وعاد ثانية لعمله في السعودية، وبقي فيها حتى زار الأستاذ عمر التلمساني مرشد (الإخوان) في ذلك الوقت السعودية للحج في منتصف الثمانينيات.

يقول المنظّر الإخواني المعروف سعيد حوّى في مذكراته: أسهمت القدرة التعبوية للجماعات الإخوانية في الجامعات السعودية، وتحديداً جامعة الملك سعود، وجامعة الملك فهد (البترول والمعادن سابقاً) مساهمة ملحوظة في إطلاق قادة جدد

للحركة، و»قال أحد المنظمين السابقين لحركة الإخوان المسلمين قسم البحرين: لقد تم تنظيمي عن طريق خلايا الحركة التي كانت منتشرة في حقبة السبعينيات في الجامعات السعودية، لقد كنا نخضع فيها لاختبار في قدرات التحمل، كأن يطلب منا الخروج في ليالي الرياض الباردة بملابس داخلية، إلا أننا كثيراً ما ندخل دورات فكرية مختلطة الجنسيات من عرب الشام ومصر من المقيمين في المملكة العربية السعودية، أو من أساتذة جامعاتها المحسوبين على حركة الإخوان المسلمين من العرب الوافدين وقلة قليلة من السعوديين».

وضمن محاولات كثيرة للإخوان في هذا المضمار، وثيقة التجديد التي كتبها الإخواني المصري عبد الحليم أبو شقة، بغرض طرح رؤية للتنسيق الفكري بين عناصر الإخوان، وهي خطوة كان المقصود منها بناء كيان شامل للتنسيق وتوحيد الجهود على الأرض، وبمعنى أدق احتواء كل الجهود، والتنسيق ثقافياً وفكرياً ودعوياً، وترقية التعاون بين الإخوان والجماعات التي أطلقوا عليها العاملة، والتعاون وتبادل التجارب، والتشاور النظري والعملي، والتعاون في مجالات العمل كافة، وأمّا الوسائل، فهي عقد اللقاءات العامة والمتخصصة لأغراض أو بين فئات معينة، وإقامة المؤتمرات تحت عنوان شؤون الإسلام وقضايا المسلمين، وتبادل الرسائل والزيارات وتكثيف الاتصالات، وهنا يتبين أنّ هناك فعاليات تعقد تحت عنوان هذا الغرض لكنّ المقصود منها التنسيق وإجراء الدراسات ونشر إصدارات الصحف والكتب والبيانات، وعقد الاتفاقات وتكوين النظم والمؤسسات والمشروعات، بين الحركات الإسلامية الشاملة، الجماعات والمنظمات الإسلامية السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية، والمنظمات الإسلامية الفئوية المستقلة (طلاب، نساء، عمال، علماء... إلخ).

يقول أوليفييه روا: «لأنّ السعوديين لم يجدوا كوادر من الوهابية، ولأنّ المذهب الوهابي غالباً ما يلاقي معارضة شديدة في أوساط رجال السنّة التقليديين، فإنّهم لجؤوا إلى الشبكات السنّية التي يمولونها على أساس علاقات شخصية وأحياناً على أساس علاقات استحقاق أكثر منه على أساس استراتيجية مدروسة، وهكذا أصبحت المملكة العربية السعودية تموّل إمّا شبكات سلفية محافظة بالطبع لكنّها تناصب الغربيين العداء، وإمّا مجموعات إسلاموية أكثر راديكالية وتطالب لنفسها بالسلطة، لكنّها تبدو أكثر قدرة على صد النفوذ الإيراني».

ومن خلفية وثيقة التجديد والتمويل نجح الإخوان المصريون في أن يكون لهم تأثير حركي كبير على الصحويين السعوديين، الذين سعوا إلى السيطرة على مؤسسات التأثير في المجتمع السعودي، في مجالات الاستثمارات، والاستشارات الاقتصادية، والأسرية، والاجتماعية، ومجالات المحاماة، والمجالات البنكية، ومكاتب المحاسبة المالية، والنشاط الإعلامي، هذا إلى جانب السيطرة على الثقل الأكبر للصحوة، وهي القطاعات التعليمية، والخيرية، والإغاثية، والأوقاف.

كيف تأسس الوجود الإخواني في أمريكا اللاتينية؟

في كتابه «السلالة الجديدة للتنظيم الدولي للإخوان: التحوّرات - الصراعات - الإرهاب» يجيب مركز المسبار للبحوث، عن سؤال: كيف تأسس الوجود الإخواني في أمريكا اللاتينية؟؛ حيث تأسس هذا الوجود، وفق الدراسة، على محورين: الأول، العناصر الإخوانية التي كانت ضمن هجرات بعض المسلمين القادمين من دول عربية وإسلامية إلى دول القارة؛ إذ أشارت تقارير إلى أنّ الجماعة ركزت على انتقال بعض عناصرها إلى عدة دول رئيسية في أمريكا اللاتينية، وعلى رأسها البرازيل والأرجنتين وتشيلي، كما ركزت في نشاطها في هذه الدول على الجاليات التي تعود جذورها إلى العرب والمسلمين، وهاجرت إلى هذه المنطقة في أوائل القرن العشرين، ضمن الهجرات الكبرى التي شهدتها أمريكا اللاتينية من منطقة الجزيرة العربية والشام.

العنصر الثاني، هو الأنشطة التي دأبت الجماعة على القيام بها لاستقطاب المسلمين، مع إقناع السلطات بأنّ هذه الأنشطة لا تتناقض مع ثقافة البلاد وقوانينها، مثل نشاط الرعاية الاجتماعية (العمل الخيري والإنساني)، ونشاط العمل الدعوي، وكلاهما ساعد الجماعة على فرض نفوذها على ساحة أمريكا اللاتينية واختراق المؤسسات الإسلامية المنشأة من قبل الدول العربية والإسلامية.

الجماعة تخفي هويتها

تؤكد الدراسة حرص الإخوان على عدم إظهار هوية الجماعة الحقيقية في الدول التي تواجدوا فيها، وهو ما أكده محمد سودان، المسؤول البارز بالجماعة

«تتشابه المنظمات الإخوانية في أمريكا اللاتينية مع مثيلاتها في أوروبا»

بقوله: إنّ الجماعة تتواجد بين حركات ومؤسسات مرتبطة فقط بالفكرة أو التنظيم، وفق روابط تتبع الجماعة في تلك الدول، وأرجع التحفظات الكثيرة حول إعلان التواجد التفصيلي للجماعة في دول العالم، إلى الرغبة في عدم استفزاز هذه الدول، أو تعريض المؤسسات أو الحركات التابعة للجماعة لمضايقات يمكن أن تحدث جراء هذا الإعلان .

وتتشابه المنظمات الإخوانية في أمريكا اللاتينية وفق الدراسة مع مثيلاتها في أوروبا، وهي نوعان، الأول: منظمات أو جمعيات عامة تتولى الأنشطة الدينية والاجتماعية والتعليمية، وتربطها علاقات تختلف في قوتها بجماعة الإخوان، فهي إما جمعيات متعاطفة، أو جمعيات منتمية بشكل رسمي للجماعة. والنوع الثاني: هو كيانات أخرى، أكثر تخصصاً مكملة للشبكة الدعوية الإخوانية؛ مثل جمعيات الشباب والطلاب، وجمعيات المرأة، والجمعيات الإنسانية، وجمعيات دعم القضية الفلسطينية، والجمعيات الطبية.

وتوالى إنشاء المؤسسات الإخوانية، وكان أكبرها وأهمها مؤسسة الإغاثة والتنمية العالمية، وهي إحدى فروع مؤسسة (الأرض المقدّسة) ويتبعها مدرسة عربية إسلامية تقوم بتدريس مبادئ الإسلام واللغة العربية، وكذلك المركز الإسلامي لشباب صلاح الدين الأيوبي، الذي يقع في وسط الحي التجاري في برايس، وهي ضاحية ومركز تجاري مهم في سان باولو يمتلك المسلمون فيها العديد من المحلات التجارية، وله عدّة أنشطة دعويّة كدروس أسبوعيّة ولقاءات لتعليم الشبان، وفرقة للأناشيد الإسلامية.

وتعتبر منظمة «الإغاثة الإسلامية في أمريكا اللاتينية»، أحد فروع مؤسسة الإغاثة العالمية، على صلة بجماعة «الإخوان المسلمين»، فرغم نفي المؤسسة صلتها بـ«الإخوان» أو تمويلها للعنف بأموال الأعمال الخيرية التي تجمعها إلا أنّ

«منظمة «الإغاثة الإسلامية في أمريكا اللاتينية» أحد فروع مؤسسة الإغاثة العالمية على صلة بجماعة الإخوان»

جميع التقارير والشواهد كانت عكس ذلك، إذ كان خالد لماضة، عضو التنظيم الدولي للإخوان، ورئيس مجلس إدارة الإغاثة الإسلامية في أمريكا السابق، قد ظهر في أحد مظاهرات الجماعة يلوح بـ»إشارة رابعة» بصحبة عدد من قيادات الجماعة في أمريكا ويندد بالنظام المصري.

كما أُنشئ مركز الدعوة الإسلامية العام ١٩٨٧م على يد أحمد علي الصيفي عضو الجماعة الإسلامية بلبنان (وهي جماعة الإخوان التي تعمل في لبنان بهذا الاسم)، وهو رئيس المركز الذي يمتلك جهازاً لإصدار شهادات الذبح الحلال، ويهدف لإقامة المخيمات وإصدار المطبوعات والمشاركة في معارض الكتاب، ويقوم بعقد مؤتمر سنوي في أمريكا اللاتينية.

وتم إنشاء الاتحاد الوطني الإسلامي العام ٢٠٠٧، ولديه هيئة إعلامية وأخرى قضائية، وقد تعاقد مع الشيخ محمد البقاعي لإدارة شؤونه الدينية. ويضم الاتحاد تحت لوائه ٢٢ مؤسسة إسلامية تعد من أكبر المؤسسات الدعوية العاملة بالساحة البرازيلية، من بينها مركز الدعوة الإسلامية في أمريكا اللاتينية، واتحاد المؤسسات الإسلامية، والندوة العالمية للشباب المسلم بأمريكا اللاتينية، ولم تنضم الجمعية الخيرية الإسلامية بساو باولو، التي تعد أقدم جمعية ومن أقوى المؤسسات بعد له، على الرغم من أنها من أول الداعمين لفكرة إنشائه، وكانت الاجتماعات التمهيدية خلال سبع سنوات تتم في مقرها. بالإضافة إلى ذلك، تعتبر الندوة العالمية للشباب الإسلامي إحدى أهم أذرع جماعة الإخوان، وتم إنشاء مكتبها العام ٢٠٠١، ويترأسها جهاد حسن حمادة .

«حرص الإخوان على عدم إظهار هوية الجماعة الحقيقية في الدول التي تواجدوا فيها»

التمدد من البرازيل لباقي القارة

كما تمددت الجماعة إلى الباراغواي، حيث تم التوجه لها بناءً على طلب أحمد على الصيفي، وأمين الكرم، وأحمد محايري، وذهب وفد إلى مدينة (أسونسيون) لإقامة عمل إسلامي منظّم، برفقة محمد حسان عجاج، وتم عقد اجتماع في المدينة الحدودية (فوز دو إيغواسو) صباح يوم الثلاثاء ١٩٨٧/١٠/٢٤ في مدينة (بورتو سترونسر)، وحضر كل من: عبد العزيز الحاج أحمد، سوري، يدير فندقاً في العاصمة، دكتور مصطفى الضحاك، من أصول إسلامية سورية، أكرم سلوم، مسلم من منطقة الهرمل في لبنان، حجاز وفائي، باكستاني يدير البنك العربي في العاصمة، أسلم محمد خان، باكستاني يعمل في نفس البنك، أحمد جميل الدين، شاب باكستاني يعمل في التجارة، محمد قعيد بن علي حسن، من سوريا .

في كولومبيا يترأس إلياس مرزوقي، المقرب من تركيا، معهد الإمام القرطبي في العاصمة بوغوتا، الذي لفت إلى أنّ إدارة معهد الإمام القرطبي واصلت القيام بأنشطة الدعوة عبر شبكة الإنترنت، وأنّ أنشطتهم لا تقتصر على العبادات فقط. أما في جويانا فمن أهم الجمعيات الإسلامية الإخوانية حالياً هي GIT وهي جمعية شاملة تتعامل مع الطلبة والطالبات ورجال الأعمال، ومن خلالها تم إنشاء جمعية الأخوات الإسلامية الوطنية، ومعهد جويانا الإسلامي (جامعي) .

ومن أهم قيادات الجماعة بأمريكا اللاتينية، وفق مركز المسبار للبحوث، علي محمد البدون، السوري جهاد حمادة، محمد الباشا، المغربي محسن الحسيني، اللبناني خالد عبد الباقي، اللبناني يحي عبد القادر داوود، والمصري عمر نبيل علي حسن. وكذلك (جهاد سليمان) ومن غويانا (سليمان) ومن شيلى (سيرجيو) ومن فنزويلا (قاسم طجين) ومن الإكوادور (يحيى سوكيلو) ومن بوليفيا (أيمن الترامسي)، وهم من أوفدوا إلى مؤتمر كوالا لمبور الذي حضره الرئيس التركي وقادة التنظيم الدولي في العام ٢٠١٩.

وقفات مع علاقة حسن البنا ببريطانيا ويهود مصر

يحتاج حسن البنا وتاريخ انتقاله من البحيرة إلى الإسماعيلية، ثم تأسيسه للجماعة في المدينة التي تقع على أحد جوانب الممر المائي لقناة السويس، يحتاج إلى إعادة نظر من جديد، وتفكير في الأسباب المنطقية لهذا الانتقال، والبحث عن العلاقات الأولى للمؤسس، التي كانت من أهم دوافع نشأة الإخوان.

الاتهام بالعلاقة مع يهود مصر

تمّ اتهام حسن البنا في البدايات أنّ له علاقة بالماسونية واليهود، وكان من أبرز من اتهمه بذلك هو عباس محمود العقاد، في مقال له بعنوان «الفتنة الإسرائيلية» عقب اغتيال النقراشي باشا، ذكر فيه أنّ البنا ذو أصول يهودية مغربية، وزاد في كلامه بأن اتهمه أنّه يبطن اليهودية ويتظاهر بالإسلام بغرض إحداث فتنة في المجتمع وتدمير الدول العربية خدمة لإسرائيل. محتجًّا بأنّ جده قيل إنّه من المغرب وسكن في شمشيرة بالبحيرة التي كانت مركزًا لليهود في مصر، وأنّ والده «ساعاتي»، وهي صناعة معروفة لدى اليهود في المغرب.

ويتحدث حسن البنا نفسه في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية صفحة ٧٤» أنّه عندما انتقل إلى الإسماعيلية في ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٧، سكن حينها مع زميل له في غرفة واحدة في منزل (بنسيون السيدة أم جيمي الإنجليزية)، ثم انتقل منه إلى سكن خاص عند الست «أم شالوم» سادنة الكنيس اليهودي.

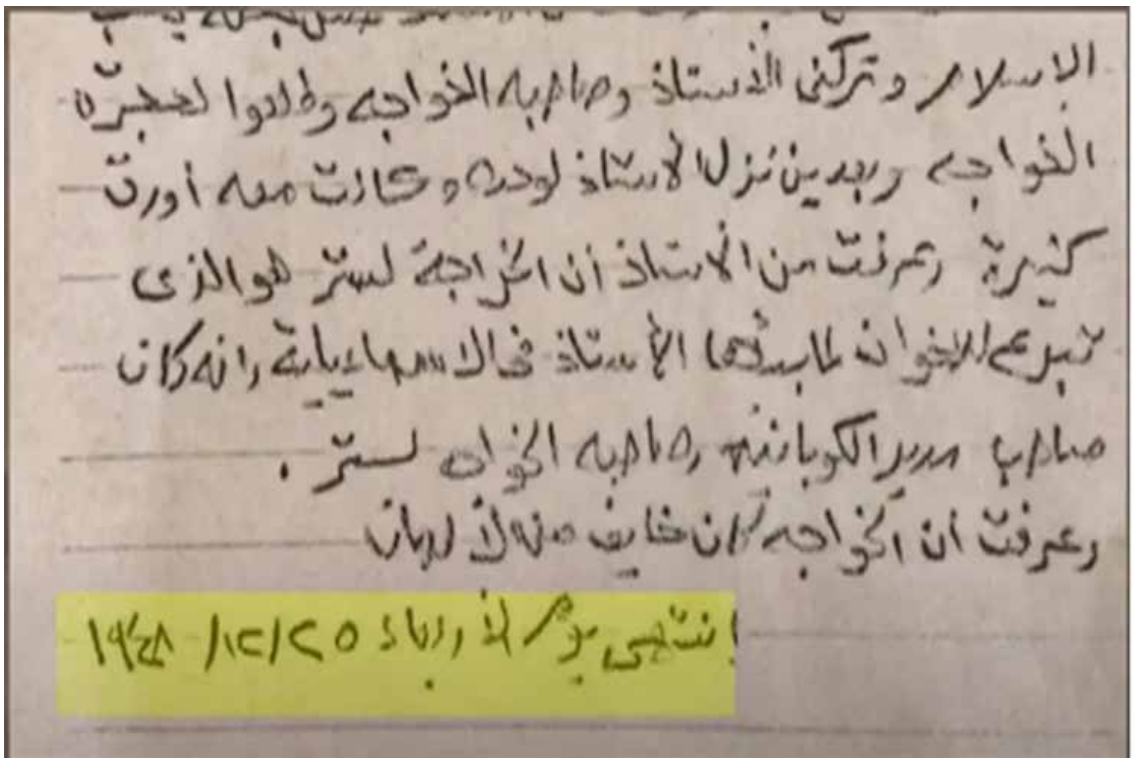
الإسلام وتركني الأستاذ وصاحبه الخواجه وذهبوا لحجرة
الخواجه وبعدين نزل الأستاذ لوحده وكانت معه أوراق
كثيرة وعرفت من الأستاذ أن الخواجه لستر هو الذي
يترجم الإخوان مطبوعاتهم الأستاذ فهمني إنه كان
صاحب مدير الكوبانية وصاحبه الخواجه لستر.
وعرفت أن الخواجه كان خايف من ذلك الوقت
انتهى يوم الخميس ١٥/١٠/١٩٤٨

لم تأخذ علاقة البنا بالسيدة أم شالوم، وباليهود المصريين في ذلك الوقت مجالًا كبيرًا من البحث، إذ تجاوزها الباحثون إلى أنّه كان له خطبة قال فيها إنّ اليهود وطنهم الأصلي هو فلسطين وليس أيّ مكان آخر، ثم إلى علاقة سيد قطب وأنّه بدأ طريقه مع الجماعة ماسونيًّا، ففي ٢٣ نيسان (أبريل) ١٩٤٣ نشر مقالاً في صحيفة (التاج المصري)، وهي صحيفة «ماسونية» بعنوان: «لماذا صرت ماسونيًّا؟».

ركّز الباحثون على علاقة البنا ببريطانيا، التي كانت كبيرة وواضحة، ففي كتاب «رهينة في قبضة الخميني» الصادر عام ١٩٨١ لمؤلفه الكاتب الأمريكي روبرت دفيس، طرح في طياته ثلاثة أجزاء مهمة عن جماعة الإخوان، أبرزها «الإخوان المسلمون: مكيدة بريطانيا ضد الإسلام»، كاشفًا كيف اعتمدت لندن على دعم الطوائف والجماعات الدينية بهدف التصدي للأفكار التنويرية والعلمية النهضوية وإحلال الفكر الأصولي المتطرف الذي يرفض الحداثة.

وكان التبرع الذي أعطاه الإنجليز للبنا، ومقداره (٥٠٠) جنيه، قد أخذ حظًا كبيرًا من التناول، وقد سعى وأتباعه لجمع التبرعات إبّان إقامته في الإسماعيلية لإنشاء مسجد يحتوي على مقر للجماعة، وبحسب ما جاء في مذكراته (مذكرات الدعوة

والداعية) لم تكن النقود التي جمعوها كافية لإكمال المشروع، وصدف حينها أن مرّ أحد الماركيزات الإنجليز، وكان يرافقه سكرتيره «مسيو بلوم»، أمام المبنى المذكور، وطلب معلومات موجزة عنه وعن القائمين على المشروع، ثم أرسل أحد موظفيه إلى البنا في مقر عمله بالمدرسة الأميرية ليدعوه لمقابلته في مكتبه، وساعتها أعطاه التبرع.

وقد أوردت وثيقة مكتوبة بخط يد عبد الرحمن السندي، أحد مؤسسي النظام الخاص أو «الجناح المسلح» داخل الجماعة، وتم تدوينها في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨، أنّ لقاءً جمع بين حسن البنا وأليستر كراولي والسندي بأحد الفنادق في مدينة الإسكندرية، وأنّ كراولي «أبدى حبًا شديدًا للبنا، وتحدث عن دور الإخوان المهم في هذه المرحلة»، وأنّ كراولي هو الشخص الذي تبرع لتأسيس الجماعة، بـ (٢٠) ألف جنيه وسيارة، إلا أنّ مؤسس الجماعة رفض السيارة وحصل على المبلغ، الذي أسهم به في بناء مسجد ومقرّ للإخوان.

قضية فلسطين في الطريق

وظلت علاقة البنا والإخوان بشكل عام بالقضية المركزية للعرب، وهي فلسطين، هي سند الجماعة لتبعد عن نفسها الشبهات، خاصة أنّها كانت من ضمن الجيوش العربية التي قاتلت في عام ١٩٤٨، إلا أننا من زاوية ثانية يمكننا أن نلحظ وبسهولة أنّ الجماعة استغلت فلسطين لجمع التبرعات ولحشد الجماهير وتجنيدهم، دون أن تعارض بريطانيا بشكل قاطع. يقول محمود عبد الحليم في كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ): «إنّ النقود التي كنّا نجمعها لفلسطين من المساجد والمقاهي والبارات، لم يكن القصد من جمعها إعانة إخواننا المجاهدين الفلسطينيين فهم كانوا من هذه الناحية في غير حاجة إليها».

وبالفعل حشدت الجماعة لحرب ٤٨ وللقتال، وكان كلّ ما تمكّنت من جمعه من المتطوعين من الإخوان ومن مؤيّديهم، (٢٢٩) عنصرًا، بحسب إحصاءات جامعة الدول العربية، وكانوا تحت قيادة أحمد عبد العزيز، ثم وصلوا إلى (٧٩٨) عضوًا، رغم أنّ الجناح السرّي بقيادة عبد الرحمن السندي كان عدده بالآلاف. يقول كامل

الشريف في كتابه «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين»: «كانت أول معركة يشترك فيها الإخوان «كفار ديروم»، وهي وإن كانت صغيرة الحجم إلا أنّها كانت محصنة، في صباح ١٤ نيسان (أبريل) ١٩٤٨، ففشلت المحاولة، وفهموا أنّهم لن ينجحوا إلا في حرب العصابات، دون التعرض للمستعمرات»، وبعدها قررت الجماعة التراجع والعودة النهائية.

وكانت أعمال الجماعة دافعًا كبيرًا لهجرة عدد كبير من الجاليات اليهودية إلى فلسطين، على سبيل المثال، المنظمة الصهيونية التي كانت في هذه الفترة تسعى لتهجير الأقليات اليهودية من العالم العربي إلى فلسطين، وأسهمت الجماعة في هذه العملية باليمن، إذ إنّ الإمام يحيى بن حميد، حاكم اليمن في ذلك الوقت منع الطائفة اليهودية التي كانت تقدّر بـ (٥٥) ألف يهودي من الهجرة، لكنّ الإخوان قاموا باغتياله في شباط (فبراير) ١٩٤٨ تحت مزاعم الثورة، ممّا أسهم في هجرتهم جميعًا.

وظلت الجماعة فيما بعد نشأة إسرائيل تتاجر بالقضية، وترفع شعار الجهاد «على القدس رايحين شهداء بالملايين»، حيث تجمع الملايين من النقابات، والمعارض، والرحلات، ومن اللقاءات الدينية، ثمّ تستخدمها في نشاطاتها الدعوية والاقتصادية، رغم أنّ أولويّاتها الوصول إلى الحكم وليس تحرير الأرض، وهذا ما كانوا يقولونه في الغرف المغلقة، وهذا ما كشفه الرئيس الفلسطيني «أبو مازن» في حديثه عن الجماعة خلال تولي الحكم في مصر، بأنّ الرئيس السابق محمد مرسي عرض عليهم الحصول على قطعة من سيناء وهم رفضوا، مشيرًا إلى أنّ هذا مشروع إسرائيلي أطلق عليه اسم «جيورا آيلاند» بهدف تصفية القضية الفلسطينية تمامًا، وكانت المفاجأة أنّ مرسي قال له: «وإنت مالك إنت؟ هتاخد أرض وتوسّع غزة».

وتكشف وثيقة عرضها القيادي في الجماعة، عصام تليمة، السرّ وراء تأسيس حركة حماس، وأنّ ذلك جاء من مجموعة إخوانية اعتراضًا على موقف الجماعة من الجهاد في فلسطين، والقرار الذي صدر بمنع اشتراك أيّ عضو في الجماعة في أيّ عمل مسلح ضد إسرائيل، وهو قرار صدر في سنة ١٩٦٨م.

ومن بنود الوثيقة الكاشفة ما ورد حول القول (إنّ الجهاد فريضة إسلامية واجبة علينا) فهو قول صحيح وسليم، ولكنّه لا يؤخذ على إطلاقه، إذ إنّه يمكن أن تنشب حرب شاملة بيننا وبين عدونا لردّه عن بلادنا ولتحطيم قوته وإبادتها، وأمّا ثاني الأمرين، فهو أنّ العدو قد تغلب على جيوشنا واحتل جزءًا من بلادنا، كما هو واقع فلسطين الآن، فإذا خرجت الجيوش الرسمية من المعركة، والتفت الناس إلى جماعتنا يطالبونها بتحرير الجزء المغتصب متحملين عبء المعركة وحدنا، فإنّ الأمر في هذه الحالة يحتاج إلى دراسة وبحث موضوعي للقضية من جميع جوانبها، فلا بدّ أن نحدد ما المطلوب منا أن نعمله؟ وما طبيعة الميدان الذي سنتحرك فيه؟ وما طبيعة العدو الذي نواجهه؟ وهل نملك من الإمكانات ما يحقق الهدف من أعمالنا؟ ثم ما النتائج العكسية التي قد يجرّها هذا العمل؟

وورد في الوثيقة أسباب اتخاذ الإخوان قرار عدم حمل السلاح ضد إسرائيل، في الوقت الذي يطالبون فيه الأنظمة بالمواجهة واقتحام الحدود، وهي: إنّ طبيعة عدونا تختلف عن طبيعة الاستعمار الذي عرفناه في أيّ قطر من أقطارنا، فهو ليس جيش احتلال فقط بل تتمّ مساعدته من الدول الكبرى في العالم على اختلاف مذاهبها، والعمليات التخريبية المحدودة ضده لن تجعله يرحل عن بلادنا، وثانياً إنّ عدونا في فلسطين لا يخشى الرأي العام العالمي، ولا يشعر بالمسؤولية الدولية، ذلك لأنّه تمكن بعد جهد دائب على مر السنين من جعل الرأي العام العالمي أداة طيعة في يده، يوفر له الحماية والتأييد بدلًا من الوقوف في وجه مطامعه، وثالثاً إنّ الدول العربية المحيطة بإسرائيل دول ضعيفة ولا تستطيع الصمود أمام العدو لأكثر من ساعات محدودة، وهذا أمر معروف للجميع، والعمل المتسرع يعطي العدو مبررات اجتياح أراضٍ جديدة، وإنّ الذين يطالبوننا بالعمل المسلح الآن يريدون منا أن نستنفد قوتنا داخل فلسطين.

الخلاصة أنّ هذه الوقفات مع علاقة البنا بوجه خاص والجماعة بشكل عام تحتاج إلى مزيد من البحث والتحري، لأنّ ذلك سيفسّر لنا كثيرًا من القرارات والأفعال التي يتخذها الإخوان، مثل حصار السفارات العربية وترك الإسرائيلية.

إخوان مصر وصناعة الحركية الصحوية

بحلول سبعينيات القرن العشرين أصبحت الصحوة شبكة تضم العديد من المجموعات الدينية التي تبنت مجموعة واسعة من وجهات النظر الدينية والاجتماعية، بعضها أكثر محافظة، وأصبح الإسلامويون المصريون الأكثر تأثيراً وتطويراً في صناعة الصحوة بشقيها الخاص أو الشعبي العام، بداية من رشيد رضا الذي أقام في مصر فترة من الوقت، وحسن البنا، وسيد قطب، أو الأجيال الأخرى التي أسهمت في هذا مثل المصري عبد القادر عبد العزيز، وهو سيد إمام الشريف، أمير جماعة الجهاد، ومؤلف كتاب العمدة في إعداد العدة، صاحب التأثير الأكبر في أفكار أسامة بن لادن وكثير ممّن حوله، وحتى في مفكّري السلفية الجهادية مثل أبو محمد المقدسي وغيره، وقادة الجهاديين الآخرين مثل عبد العزيز المقرن وآخرين.

(١) التعبئة الفكرية المصرية للصحوة

كان المصريون الإسلامويون الذين قاموا بالتعبئة الفكرية ثلاث طبقات؛ الأولى القدماء مثل حسن البنا وسيد قطب، وكانت كتبهم وتنظيراتهم لها التأثير الأكبر في نشوء الصحوة، والطبقة الثانية وهم القدماء المعاصرون للأوئل مثل محمد الغزالي والقرضاوي، ومحمد قطب، وحسن أيوب، والثالثة وهم المعاصرون، مثل سيد إمام والظواهري، وعبد الآخر حماد، وكانت تفسيراتهم المحافظة والمتشددة والمؤصّلة للشريعة والتاريخ الإسلامي تتوافق إلى حدٍّ كبير مع الطرح الجهادي.

««أصبحت الصحوة في السبعينيات شبكة واسعة تضم مجموعات تبنّت رؤى دينية واجتماعية متعددة، وكان للإسلامويين المصريين الدور الأبرز في صناعتها وصياغتها.»»

يُعتبر سيّد قُطب هو الشخص الأكثر تأثيراً في الطبقات الثلاث، لكنّ المثير للاهتمام أنّ تفسيره للقرآن (في ظلال القرآن) هو الذي كان مرجعاً رئيسيّاً، وليس كتابه الحركي (معالم في الطريق)، ويليه عبد القادر بن عبد العزيز، وهما جزءٌ من المجموعة المتفرعة عن المُنظّرين الجهاديين المتنامية التي يطلق عليها «الاستراتيجيون الجهاديون».

كان من أبرز الشخصيات علي جريشة من مصر الذي عمل في الجامعة الإسلامية، وسيد سابق المؤلف الشهير لكتاب «فقه السنّة» الذي ترأس قسم القضاء في جامعة أم القرى بمكة، ومحمد الغزالي الذي ترأس قسم الدعوة وأصول الدين بمكة، والدكتور محمد الراوي، وجميعهم من الشخصيات الإخوانية القيادية، وكان يعمل في الوقت نفسه رجال الدين التقليديون والسلفيون مثل مقبل بن هادي الوادعي، الذي أحاطه رجال من مصر أيضاً، ومنهم أسامة القوصي، وأبو الحسن مصطفى إسماعيل، والأخير كان قريباً من جماعة جهيمان، مع مصري آخر هو عبد الله بن عمر.

ولعل أبرز نماذج المصريين محمد قطب، الذي كان لوجوده دور مهم في تقريب أفكار المنهج القطبي وترسيخها، والدفاع عن أفكار أخيه سيد، وإزالة مواطن

««قادت ثلاث طبقات من الإسلامويين المصريين التعبئة الفكرية للصحوة، وكان أكثرهم تأثيرًا سيد قطب، خاصة من خلال تفسيره في ظلال القرآن.»»

««محمد قطب لعب دورًا مهمًا في ترسيخ المنهج القطبي، والدفاع عن أفكار شقيقه سيد، وركز على بناء قاعدة صلبة للتغيير التدريجي.»»

الإشكاليات واللبس التي اعترتها، وكان منهجه يتسم بعدم الانعزال عن المجتمع، و»بناء قاعدة إسلامية صلبة» تكون النواة الرئيسة الأولى للمواجهة مع السلطة القائمة، وعدم الاستعجال في التحرك من أجل التمكين، وارتياد طريق التربية، وعدم وضع أيّ مدى زمني لعملية الإعداد والتربية.

وكما ذكرت الكاتبة هدى الصالح قدّم محمد قطب شرحاً تفصيلياً لنظرية «الحاكمية» وهي الركيزة الأساسية لمنهج المدرسة القطبية، التي ذاعت وانتشرت في مجمل الحركات الأصولية الإسلاموية، التي تسعى لتحقيق الحاكمية إمّا بالمواجهة الانقلابية العنيفة، وإمّا على المنهج الحركي المتدرج، حيث تفضي كل خطوة إلى الأخرى، ثم إلى تحقيق الهدف الأخير، وهو الوصول إلى السلطة، وتدمير «الجاهلية الحديثة».

ووفق ما ذكره الباحث عبد الله الرشيد فقد كان المصري يوسف القرضاوي أيضاً أحد أهمّ مُنظّري الصحوة، فإضافة إلى ما كتب فيها إسهاماً منه في ترشيدها، فقد تميز دوره على الخصوص في مشاركاته في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، وقد جاء الرجل في حقبة ازدواج الإسلام الراديكالي أو الصحوي، وحقبة الفضائيات ووسائل الاتصال، وناقش فكرة الدولة في كتابه «فقه الدولة في الإسلام» في (٥) فصول مختلفة، ولم يختلف مع جيل الصحوة بكامل صنوفه في جواز الخروج على الحاكم المسلم إذا لم يحكم بما أنزل الله، ولا في نظرتهم لطبيعة المجتمع والحاكم، خاصة ما يتعلق منه بمسائل العقائد والولاء والبراء، ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقة مع غير المسلم الذي لا يجوز وفقاً لهذا المبدأ موالاته أبداً، وكان هذا بالطبع منطلق التيار الصحوي في موقفه من حرب الخليج الثانية.

««وثيقة الهضيبي عام ١٩٧٣ نظمت العمل الإخواني بالخليج عبر لجان محددة، وأسست لمرحلة جديدة من التمدد الدعوي المؤسسي.»»

«تحوّلت الصحوة لاحقًا من دعوة شعبية إلى مشروع بحث عن الدولة، وانتقلت من اختراق الشعوب إلى محاولات التغيير الفوقي للأنظمة.»

يذكر أحد مؤسسي جماعة الإخوان في حقبة السبعينات أبو العلا ماضي في تصريح صحافي أنّه من ناحية التأسيس يُعتبر الشيخ محمد الغزالي من أهم موجهي الحركة الصحوية، بل مرشد مسارها الفكري، إذ اضطلع بشكل خاص بتصحيح المفاهيم، وتطهير ما علق بها من رؤى انحطاطية ألصقت بالدين والنص الشرعي، والدخول في حوار علمي مع أصحاب المشاريع المنافسة، وهو ينتمي إلى مدرسة الإخوان، ويقرّ بانتسابه المبكر إليها، ولقائه بالبنا وتلمذته عليه.

يقول الباحث بلال التليدي: رغم أنّ دور الغزالي كان إصلاحيّاً لكنّه أسهم بقوة في دفع الاعتقاد بكون حسن البنا هو أول من رفع راية المقاومة في القرن السابق.

في التأثير نفسه كان الشيخ المصري حسن أيوب له جهود كبيرة صحوية، فقد انتقل للعمل بدولة الكويت واعظاً وخبيراً ومؤلفاً، ثم انتقل للعمل في المملكة العربية السعودية؛ فَعُيِّنَ أستاذاً في الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز، ثم أستاذاً بمعهد إعداد الدعاة بمكة المكرمة، وقد تتلمذ على يديه كثير من دعاة الصحوة، وأثمرت حركته الدائبة على الرجوع إلى الأصول من أجل مواجهة ما سمّاه المدّ التغريبي، وتأسيسه للعديد من المشروعات، وفي مقدمتها «لجنة زكاة العثمان» التي تُعدّ من أشهر لجان الزكاة بالعالم العربي.

الهجرة لصناعة الصحوة

بعد فشل الجهاز السرّي لجماعة الإخوان في اغتيال الرئيس المصري جمال

««بعد فشل محاولة اغتيال عبد الناصر، هاجر الإخوان، وأسهموا في نشر فكرهم بالجامعات والمكتبات، وتوسيع تنظيمهم في الخليج.»»

عبد الناصر، هاجر العديد منهم إلى العديد من الدول، ومن ضمنها دول الخليج، وكان منهم سعيد رمضان الذي أسهم في إنشاء التنظيم الدولي، الذي عمل على الترويج لفكر الإخوان، والترويج لمؤلفات سيد قطب ويوسف القرضاوي، ونشر مؤلفات الجماعة في المكتبات المدرسية والجامعية ووسط الطلاب والطالبات، وأيضاً مصطفى مشهور، الذي ذهب إلى الكويت لصناعة بناء حركي صحوي.

وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ انتهز الهضيبي فرصة الحج فعقد أول اجتماع موسع لجماعته في مكة المكرمة، وكان هذا الاجتماع هو الأول من نوعه منذ ١٩٥٤، وفيه نظّم العمل الحركي عبر ثلاث لجان: لجنة جدة، ولجنة الرياض، ولجنة الدمام، وفي دول الخليج: نظّم العمل في ثلاث لجان كذلك: لجنة الكويت، ولجنة قطر، ولجنة الإمارات، وورد في وثيقة لاجتماع آخر له، باسم مسؤول الاتصال (أبو عبد الرحمن)، رسم سياسة العضوية وشؤون الدعوة والمسؤولين عنها في الخليج، ودور قيادات الخارج المؤسسين الذين فروا إلى خارج البلاد، وكيفية تمدد الجماعة، ومنها المكتبات ودور النشر، وحلقات التلاوة بالمساجد، وغيرها من الوسائل الأخرى، التي يعقبها فيما بعد ما يُسمّى (الربط)، وكان من الواضح من سياق الوثيقة أنّ الصبر والمثابرة والبناء الهادئ هو مرحلة من مراحل العمل الإخواني، إلا أنّها تتطور فيما بعد لتشمل التنسيق مع الجماعات الأخرى والعاملين في الحقل نفسه، وهو ما أكدته الورقات.

وكان هناك دور في هذه الفترة لرموز أخرى مثل محي الدين هلال، وعبد الرحمن أبو الخير، ولذلك نشأت (الصحوة الخاصة)، وهي الخاصة بالسعودية، و(الصحوة العامة) وهي الصحوة التي تعني عودة نسبة من المسلمين في العالم أجمع إلى التدين وفقاً لمفاهيم واجتهادات شرعية معينة، والتي أسهمت الإخوان

««حسن أيوب ساهم في تأصيل الصحوة من خلال نشاطه الدعوي في الكويت والسعودية، وكان له أثر كبير في مواجهة المدّ التغريبي.»»

في صياغتها وصناعتها، وأصبح في هذه الحقبة للجماعة قادة حركيون منهم: سالم نجم، والدكتور محمد طلبة زايد بالكويت، ومناع القطان بالسعودية، والقرضاوي بقطر، وعز الدين إبراهيم بالإمارات، ومحمد المأمون، المشرف على الدعوة بعُمان واليمن، وكان مصريون آخرون، على رأسهم «عبد الرحمن عبد الخالق» المصري الأصل، ينشرون السلفية الحركية في الكويت وما جاورها.

وضمن محاولات كثيرة للإخوان في هذا المضمار جاءت وثيقة التجديد التي كتبها الإخواني المصري عبد الحليم أبو شقة، بغرض طرح رؤية للتنسيق الفكري بين عناصر الصحوة، وهي خطوة كان المقصود منها بناء كيان شامل للتنسيق وتوحيد الجهود على الأرض، وبمعنى أدق احتواء كل الجهود، والتنسيق ثقافياً وفكرياً ودعوياً، وترقية التعاون بين الجماعات التي أطلقوا عليها العاملة، والتعاون وتبادل التجارب، والتشاور النظري والعملي، والتعاون في مجالات العمل كافة.

وأمّا الوسائل، فهي عقد اللقاءات العامة والمتخصصة لأغراض أو بين فئات معينة، وإقامة المؤتمرات تحت عنوان شؤون الإسلام وقضايا المسلمين، وتبادل الرسائل والزيارات وتكثيف الاتصالات، وهنا يتبين أنّ هناك فعاليات تعقد تحت عنوان هذا الغرض لكنّ المقصود منها التنسيق وإجراء الدراسات ونشر إصدارات الصحف والكتب والبيانات، وعقد الاتفاقات وتكوين النظم والمؤسسات والمشروعات، بين الحركات الإسلامية الشاملة، والجماعات والمنظمات الإسلامية السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية، المنظمات الإسلامية الفئوية المستقلة (طلاب، نساء، عمال، علماء... إلخ).

««محمد الغزالي، بحسب أبو العلا ماضي، كان من موجّهي الصحوة، إذ صحّح مفاهيمها وواجه التيارات المنافسة من داخل مدرسة الإخوان المسلمين.»»

ويبدو ممّا سبق أنّ الدور الرئيسي في نشأة الصحوة كان للمصريين الإخوان، الذين انخرطوا في تجربة منظمة لصناعة صحوة حركية وأخرى شعبية، لكنّها بعد سنوات طوال خرجت من دائرة الدعوة إلى دائرة البحث عن الدولة والحكم، فأنتج ذلك تنظيمات ترى أنّ التغيير الفوقي للأنظمة خير من التغيير السفلي المعني باختراق الشعوب والمؤسسات، ومرّ ذلك بطرائق حركية جديدة، لعب المصريون فيها الدور الأكبر المركزي، الذين عملوا على صياغة وسائل جديدة في مشروع تربوي حركي مفصّل قابل للتطبيق العملي.

الواجهات اللامركزية لجماعة الإخوان

أصبحت الأممية الإسلامية والوسطية والاتحادات الدعوية ومكاتب التنمية البشرية هي الواجهات اللّامركزية التي تشتغل جماعة الإخوان من خلالها الآن، وهي نفسها التي تعمل عليها أحزاب كبرى ودول مثل تركيا، وترى أنّها تضمن لها السيطرة الفعلية حال توجهها ناحية الشرق، ومن ثم أصبحت الجماعة هي العمود الفقري لهذا المشروع، وأصبح الاستغناء الفعلي عنها هو محض الخيال.

من التنظيم إلى الوسطية والفكر الحضاري

وفق ما قاله القيادي الإخواني الجزائري عبد الرزاق مقري، فإنّ الإسلاميين في الوطن العربي يفتقرون إلى الأدوات الفكرية التي تسمح لهم بالتعامل مع تناقضات الحكم، لأنّ ممارسة الدعوة غير ممارسة السياسية، ومن ثم وجوب التأسيس لمسار نظري جديد.

وهكذا رأى مفكرو الجماعة أنّ العمل المباشر بصيغة تنظيم يختلط فيه العمل السياسي بالدعوي والاقتصادي التمويلي يؤدي في الأغلب للصدام مع مؤسسات الدولة التي يعمل بها التنظيم، وفي الأغلب يؤدي إلى فقده الشرعية، ومن ثم فإنّ الصيغة اللّامركزية وبواجهات لا تحمل اسم الجماعة، يجعلها بعيدة عن كل أشكال الوصاية أو التبعية، وتعمل من خلاله طاقات فكرية وعلمية وثقافية تؤمن بمبادئها وأهدافها في مختلف المحافل الدولية.

ويؤدي العمل من خلال هذا النهج إلى إكساب العمل مستقلين لا يحبون العمل من خلال تنظيم صارم، ومنشقين لا يجدون أنفسهم منسجمين مع قياداتهم الحزبية سياسياً أو تنظيمياً، ممّا يعني أنّ هذه الشبكة الجديدة تخلق فضاء بديلاً، يتخلى عن المواجهة والصدامية داخل التنظيم، ولا يصنع تنظيماً

القيادي الإخواني الجزائري عبد الرزاق مقري

موازياً وخفياً تخشاه الدول، وفي هذه الحالة يصبح سلوكها محموداً، مهما كان مصدره عن عجز أم قناعة.

إنّ هذه الحركية الجديدة تكسب الجماعة القدرة على المناورة والعمل في كل الأقطار وأحلك الظروف، حيث تستطيع بسهولة الهروب من النشاط داخل التنظيم إلى منتديات الأممية والوسطية والتنمية البشرية.

وتتحرّر الجماعة وفق ما سبق من الالتزام الحزبي، فضلاً عن مشاكل أخرى تتعلق بمناهج العمل ومناهج التغيير، وتضمن بسهولة ويسر أن يتم تصنيفها ضمن محور الاعتدال الدعوي والفقهي والعقدي، حيث تتموقع داخل الوسطية ومنتديات الفكر والحضارة والدعوة.

المنتديات في الخليج نموذجاً

بالنظر إلى تلك الحركية الجديدة، سنجد أنّ لها فائدة كبرى تتعلق بأنّه إذا تمّ تطويق الحواضن والملاجئ وتمّ تجفيف مصادر الدعم والتمويل، فإنّه من الصعب توقع انهيار القاعدة الفكرية والعقائدية للجماعة، وكذا القضاء بشكل تام عليها، لأنّها تتحرك وفق الأممية الإسلامية ومنتديات الوسطية المقبولة سياسياً.

«الجماعة تعمل عن طريق خلق تيار عام (مثال قطر) يعمل من خلال بعث الصحوة»

وإذا ضربنا المثل خليجياً، فسنجد أنّ الجماعة رغم الحصار ما تزال تمتلك العديد من المؤسسات العاملة بدول الخليج التي تعمل بواجهات غير إخوانية، ففي السعودية الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤسسة النهضة لجاسم سلطان بالدوحة، وفي الكويت يعمل التنظيم الإخواني عن طريق الأمانة العامة للقرآن الكريم، والأمانة العامة للّجان الخيرية، وجمعية بشائر الخير، ومركز شباب الإصلاح، وجمعية العون المباشر، ونماء للزكاة والتنمية المجتمعية، ومنظمة النصرة العالمية للرسول، وجمعية النجاة الخيرية، والهيئة الخيرية الكويتية، وبيت التمويل الكويتي، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، ومؤسسة النصر العالمية، والحملة الدولية لإسعاف بيت المقدس، وحملة كلنا مريم العالمية.

وبالنظر إلى أساليب العمل الإخواني الحركي والتنظيمي بالخليج، سنجد التالي: أنّ الجماعة تعمل عن طريق خلق تيار عام (مثال قطر) يعمل من خلال بعث الصحوة، وتعمل جماعة الإخوان عن طريق مؤسسات سياسية ودعوية وتمويلية وفق شرعية قانونية (مثال الكويت)، كما تعمل وفق مشروعية سياسية وقانونية من أجل التوازن الطائفي (مثال البحرين)، ووفق مؤسسات دعوية فقط (مثال السعودية)، أمّا في الإمارات، فإنّها تعمل خارجياً فقط وفق منظمات حقوقية، ولا تستطيع العمل من الداخل، مثل اليمن التي تعمل بها وفق حزب سياسي.

من هنا سنجد أنّ جماعة الإخوان في تنظيمها الخليجي تنتشر بهدوء، وتخترق شرائح المجتمع الخليجي في بعض الدول، وتتقزّم في دول أخرى، وهذا يحدث خاصة في بعض النخب التجارية والقبلية والحكومية، عن طريق خطة مركزها الحركي الحقيقي أن تكون الجماعة بالخليج هي رافعة تمويلية للتنظيم العالمي، لا تصطدم بالسلطات، عن طريق تبنّي المنهج الإصلاحي.

«تساهم المؤسسات الإخوانية الجديدة في دعم التنظيم فكرياً وتنسيقياً، وربطه مع التنظيمات الأخرى»

لقد تجاوزت الجماعة في دول الخليج العربي مرحلة التأسيس الفكري والتنظيمي، إلى أن تكون لها مؤسسات خارجية عالمية تساهم في وقف تقهقر التنظيم الدولي، وتساهم في تنامي التنظيم وتوسّع قاعدته العالمية.

كما تساهم هذه المؤسسات في دعم التنظيم فكرياً وتنسيقياً وربطه مع التنظيمات الإخوانية الأخرى في الخارج. وعقد الحوارات والمؤتمرات العالمية، وتقديم الجماعة نفسها على أنّها «حركة معتدلة» عن طريق المنتديات سالفة الذكر.

في بعض الدول الخليجية، مثل قطر والإمارات، وجدت الجماعة نفسها أمام (٣) خيارات: إمّا العودة إلى العمل السرّي، وإمّا البحث عن إطار رسمي يجسد وجوداً رسمياً للحركة، وإمّا تحويل الحركة إلى تجمّع فكري في المجتمع، ونظراً للتكلفة الباهظة للخيار الأوّل، وعدم إمكانية الخيار الثاني؛ فقد اختارت بعد مداولات ومراجعات معمقة أن تصبح «تجمّعاً فكرياً، الروابط فيه قائمة على العلاقات الاجتماعية»، وأن تقوم بعمل مؤسسات فكرية نهضوية داخلياً، ومؤسسات عالمية تدعم الجماعة.

التأصيل الفكري لنشأة النظام الخاص للإخوان المسلمين

لم ينشأ الجهاز السري داخل جماعة الإخوان من الفراغ، بل عبر معالم فكرية واضحة، وسلوك عنيف ترعرع عليه عناصر الجماعة منذ تأسيسها، حينما أسس حسن البنا جمعية منع المحرمات ونصّب نفسه مسؤولاً عن تقويم السلوك الديني للمسلمين، قائلاً في مذكراته: «إنّ من يشق عصا الجمع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان»، وحتى تشكّل النظام الخاص، الذي واجه عمليات إقصاء وانحسار إلى مدٍّ وانتشار، ليس في مصر فقط، بل في كل الدول التي نشأ فيها التنظيم، الذي كان يسير في خطين متوازيين؛ أحدهما علني، وآخر ضارب في السرّية.

١ـ حسن البنا ومأسسة السرّية:

بدأ البنا التأصيل لتأسيس الجهاز السرّي بالرسائل التي وجّهها إلى الشباب، فقد اعتبر الجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، وأنّ أول مراتبه إنكار القلب للمنكر، وأعلاه القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر.

وكانت نظرية البنا الجهادية تتمحور حول نقاط رئيسية:

أ) الجهاد لحماية الدعوة.

ب) إنشاء كتائب خاصة معنية بقضية الجهاد.

تجلّى ما سبق في بعض المظاهر التالية التي أوردها موقع فقيه الجماعة الشيخ يوسف القرضاوي في مذكراته: جعل البنا المصحف والسيف شعاراً للدعوة، وجعل الجهاد في هتاف الجماعة «الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا»، وجعل الجهاد ركناً من أركان البيعة

بدأ البنا التأصيل لتأسيس الجهاز السرّي بالرسائل التي وجّهها إلى الشباب

التي يأخذها على أتباعه، فقال في رسالة التعاليم: أريد بالجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصود بقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم يَغزُ، ولم ينوِ الغزو، مات ميتة جاهلية)، وأوّل مراتبه إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر... وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: (الجهاد سبيلنا)، خصص للجهاد رسالة خاصة من رسائل الدعوة، وبدأها بقوله: فرضَ الله الجهاد على كل مسلم ومسلمة فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها... ولستَ تجدُ نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمّة، وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق، كما تجد ذلك في (رسالة المؤتمر الخامس) في توضيح معالم الطريق: «وفي الوقت الذي يكونُ فيه منكم ـ معشر الإخوان المسلمين ـ (٣٠٠) كتيبة، قد جهزت كلٌّ منها نفسَـها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لُجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل جبار عنيد، فإنّي فاعلٌ إن شاء الله».

وأضاف القرضاوي: أنشأ البنا الكتائب، وأشرف بنفسه على تسليحها وتدريبها وتثقيفها، وحين يُسأل هل سيستخدم الإخوان المسلمون القوة؟ يقول: «أمّا القوة،

«تبنّت جماعة الإخوان المسلمين مفهوم «الجهاد الدفاعي التضامني»، وهو لا يحدث في العادة دون نظام خاص وجهاز سرّي»

فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ» [الأنفال:٦٠]. والنبي يقول: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف».

٢ ـ تأصيل منهج حركي لتنظيم موازٍ:

وفق ما ورد في موقع الإخوان ويكي، فقد عني البنا منذ نشأة الجماعة أن يقوم عناصره بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظامُ الدعوة في هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام، ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية، وكل شُعَبِ الإخوان تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، ثم التكوين باستخلاص عناصر تحمل أعباء (الجهاد) وضم بعضها إلى بعض، ونظام الدعوة ـ في هذه المرحلة ـ صوفي بحت من الناحية الروحية، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شكٍّ ولا حرج، وتُمثِّلُ الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج الذي وضعه البنا نفسه، ثم التنفيذ، وهي مرحلة جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية.

بناء على ما سبق، أنشأ البنا في عام ١٩٤٠ جهازاً داخل الجماعة؛ سمّاه «النظام الخاص» يضم إليه من أفراد الجماعة من يلتزمون بتعاليمه وتوجيهاته، كما يتميزون باللياقة البدنية، والقدرة على الاحتمال، والسمع والطاعة، وكلَّف (٥) بالإشراف عليه واختيار جنوده، وكان وراء تكوين هذا النظام عدة أهداف يسعى لتحقيقها؛ أوّلها: مقاومة الإنجليز الذين يحتلون مصر والسودان وغيرهما من بلاد العرب والمسلمين. وثانيها: مقاومة المشروع الصهيوني. وثالثها: حماية الدعوة من أعدائها الذين قد

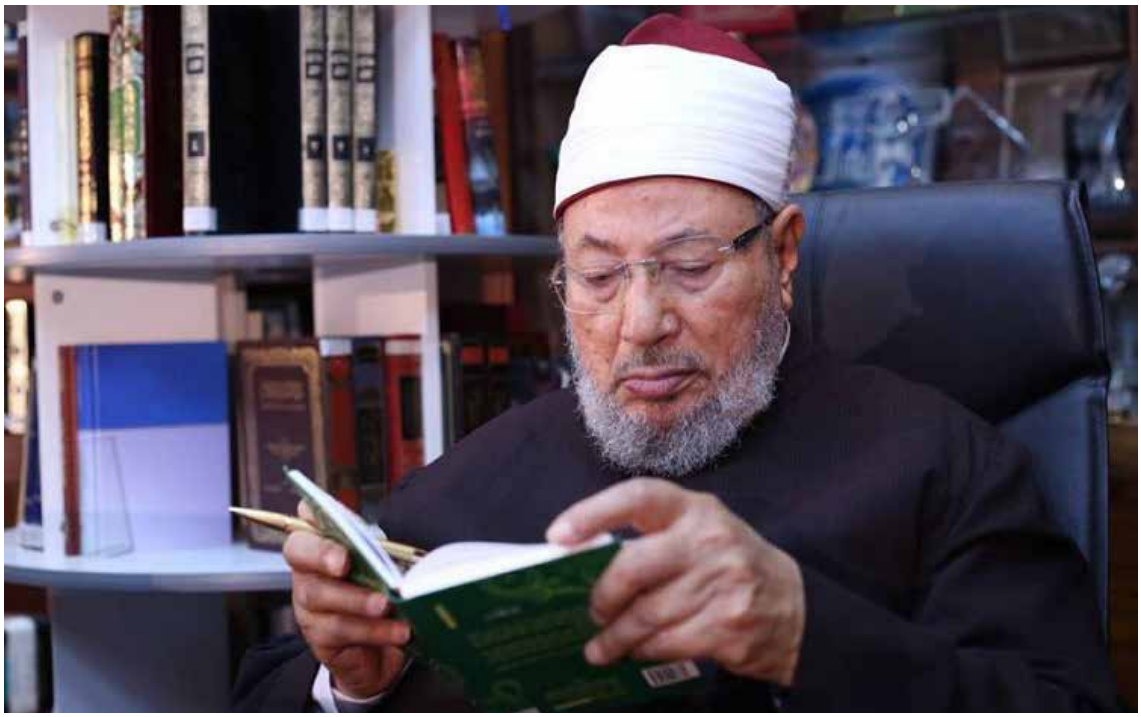

القرضاوي: أنشأ البنا الكتائب، وأشرف بنفسه على تسليحها وتدريبها وتثقيفها

يحاولون اقتلاع جذورها، وإيقاف مسيرتها، وإعاقة حركتها، بقانون القوة، ورابعها: غرس روح الجهاد من أجل السعي لتغيير الحكم العلماني الذي برأيه لا يحكم بما أنزل الله، ولا يحتكم إلى شريعة الإسلام، عن طريق «انقلاب عسكري» تكون طلائعه من أبناء النظام الخاص .

٣ ـ تأصيل مفهوم الجهاد التضامني:

تبنّت جماعة الإخوان المسلمين مفهوم «الجهاد الدفاعي التضامني»، وهو لا يحدث في العادة دون نظام خاص وجهاز سرّي، وعبر فقه يعتمد على ضرورة إعادة الخلافة، ومقاومة الاستعمار، وتحرير المسلمين، ومقاومة الظلم.

في افتتاحية العدد الأول من مجلة الجماعة (النذير) الصادر في عام ١٩٣٧، كتبها أحمد عبد الرحمن البنّا، وهو والد المرشد العام الأول، قال فيها: «استعدوا يا جنود، وليأخذ كل منكم أهبتَه، ويُعدّ سلاحَه، ولا يلتفت منكم أحدٌ، وامضوا إلى حيث تؤمرون»... حتى قال: «فإذا الأمّة أبت، فأوثقوا يديها بالقيود، وأثقلوا ظهرها بالحديد، وجرِّعوها الدواءَ بالقوة، وإن وجدتم في جسمها عضواً خبيثاً، فاقطعوه، أو سرطاناً خطيراً، فأزيلوه».

«أنشأ البنا في عام ١٩٤٠ جهازاً داخل الجماعة سمّاه «النظام الخاص» يضم إليه من أفراد الجماعة من يلتزمون بتعاليمه وتوجيهاته، كما يتميزون باللياقة البدنية، والقدرة على الاحتمال، والسمع والطاعة»

يقول الباحث حسن أبو هنية: إنّ الجهاد التضامني مفهوم راسخ وفق نظرية «دفع الصائل»، وقد تجلت تطبيقاته في المشاركة الإخوانية في حالات عديدة داخلياً إبّان المرحلة الاستعمارية، وخارجياً برزت في «المسألة الفلسطينية»، وظهرت في «القضية الأفغانية». فموضوع جهاد الدفع وجهاد التضامن أساسية في فقه المؤسس حسن البنا وخلفائه وصولاً إلى عبد الله عزام، وهي ظاهرة في حركة (حماس)، على الرغم من محاولة سيد قطب إبّان محنة الجماعة مع نظام عبد الناصر وثورة تموز (يوليو)، توسيع مفهوم الجهاد ليشمل العدو القريب.

٤ ـ تأصيل إيديولوجية الخروج على المجتمع:

صاغ سيد قطب أفكاراً رئيسة فصّل فيها أفكار البنا، وتجاوز بها بعض أفكار المؤسس، وكانت كلها تنظيرات أسهمت في دعم استمرار وبقاء الجهاز السرّي للجماعة.

يقول الباحث معتز الخطيب: «صاغ سيد قطب مفهوم (الإسلام ثورة وانقلاب)، وتكفير المجتمعات المسلمة (التوحيد حاكمية سياسية وقانونية)، وأنّ النظام الإسلامي الشامل لا يقبل التبعيض (نظام مطلق)، ولا يتحرك إلا في محيط هو الذي يصنعه (الطهورية والعزلة الشعورية)، أي أنّه صاغ -في واقع الأمر- البيان النظري أو المنهج الحركي القائم على الثورية والإطلاقية والطهورية. ويعتبر مبدأ «الحاكمية»، الذي لعب سيد قطب دوراً أساسياً في ترسيخه، من أهم الرؤى التي تتمحور حولها المرجعية الفكرية والإيديولوجية للجماعة، وكان له التأثير الكبير على

أعضاء الجماعة بجميع فئاتها ممّن تشبعوا بأفكاره الخطيرة الداعية لتحقيق الشريعة ولو بالقوة والعنف من أجل الوصول إلى الحكم».

صاغ سيد قطب أفكاراً رئيسة فصّل فيها أفكار البنا، وتجاوز بها بعض أفكار المؤسس

يكمل الخطيب قائلاً:

تمحورت القطبية على بعض الفرضيات، وهي «جاهلية القرن الـ (٢٠)» التي جعلت المجتمعات المعاصرة تتخبط في مشكلات سببها الابتعاد عن الدين الإسلامي وعدم العمل بمبدأ «الحاكمية»، ويعني المنهج الحركي لدى سيد قطب الحركة بالنص أو المعركة مع ما يسميه «الجاهلية المعاصرة» أو «الجاهلية الحاضرة»، والجهاد لمواجهة التحولات التي عصفت بالأمّة المسلمة. فالواقع والتحولات التي يتمحور بها مفتاح لفهم النص، ومن خلال هذا التفاعل بين النص والواقع يتشكل «فقه الحركة» الساعي لتغيير العالم. وفقه الحركة ضروري لمواجهة هذه التغيرات التي عصفت بالمجتمعات الإسلامية وأدخلتها في وحل الجاهلية الأولى من جديد، وفرضت استئناف الإسلام الذي انقطع وجوده وفق منظور سيد قطب، وأنّ الجهاد من مقتضيات الحاكمية. فإذا كانت السمة الأولى للحاكمية تصوغ مفهوم التوحيد، والسمة الثانية تقوّم الناس والواقع بناء على هذا المفهوم الجديد للتوحيد، فإنّ السمة الثالثة للحاكمية تقدّم الوسيلة المناسبة لتغيير هذا الواقع ليطابق ذلك المفهوم.

بناءً عليه، لم يجد الإخوان عناءً في الأطروحات التي تشرعن للتنظيمات الموازية والنظام الخاص المسلح، إذ إنّ التأصيل الفكري لوجود جهاز سرّي للجماعة هو عامود رئيسي في الأفكار المؤسسة للجماعة.

حسن البنا
وتأسيس السرية العسكرية

بدأ البنا التأصيل لتأسيس الجهاز السرّي بالرسائل التي وجهها إلى الشباب، معتبراً فيها الجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، وأنّ أول مراتبه إنكار القلب للمنكر وأعلاه القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر. وكانت نظريته الجهادية تتمحور حول نقاط رئيسية: الجهاد لحماية الدعوة، وإنشاء كتائب خاصة معنية بقضية الجهاد.

كتابات البنا التأسيسية

تجلّى ما سبق في كتاباته التي تناقلتها أجيال الإخوان بعد مقتله، وبعض المظاهر الحركية، وأهمّها أنّه جعل المصحف والسيف شعاراً للدعوة، وجعل الجهاد في هتاف الجماعة «الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا»، وجعل الجهاد ركناً من أركان البيعة التي يأخذها على أتباعه، فقال في رسالة التعاليم: أريد بالجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصود بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من مات ولم يَغزُ، ولم ينوِ الغزو، مات ميتة جاهلية»، وأوّل مراتبه إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر...، وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: «الجهاد سبيلنا».

كما تجد ذلك في «رسالة المؤتمر الخامس» في توضيحه معالم الطريق: «وفي الوقت الذي يكونُ فيه منكم ـ معشر الإخوان المسلمين ـ (٣٠٠) كتيبة، قد جهّزت كلٌّ منها نفسَـها روحيّاً بالإيمان والعقيدة، وفكريّاً بالعلم والثقافة، وجسميّاً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لُجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل جبار عنيد، فإنّي فاعلٌ، إن شاء الله».

«أنشأ البنا الكتائب، وأشرف بنفسه على تسليحها وتدريبها وتثقيفها.»

وقد أنشأ البنا الكتائب وأشرف بنفسه على تسليحها وتدريبها وتثقيفها، وحين يُسأل هل سيستخدم الإخوان المسلمون القوة؟ يقول: «أمّا القوة، فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ»، والنبي يقول: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف».

وحين شرح مراحل الدعوة قال: «مرحلة التعريف بنشر الفكرة العامة بين الناس، ومرحلة التكوين باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض. ونظام الدعوة في هذه المرحلة صوفي بحت من الناحية الروحية، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين «أمر وطاعة»، ومرحلة التنفيذ: وهي مرحلة جهاد لا هوادة فيه».

مركزية القوة والثورة لدى البنا

يقول حسن البنا في رسالة المؤتمر الخامس: «أمّا القوة، فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن ينادي في وضوح وجلاء «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. بل إنّ القوة شعار المسلم حتى في الدعاء، وهو مظهر الخشوع والمسكنة، مستطرداً بقوله: «الإخوان المسلمون أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا في أعماقها ولا يوزنوا نتائجها، وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أنّ أوّل درجة من درجات القوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والاتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه جميعاً، فإنّها إذا استخدمت قوة الساعد وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خاملة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك. ثم يتساءل فيقول: لكن هل أوصى الإسلام -والقوة شعاره- باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال، أم حدد لذلك حدوداً واشترط

«عمل البنا منذ نشأة الجماعة على أن يقوم عناصره بنشر الفكرة العامة بين الناس، وجعل نظام الدعوة في هذه المرحلة عن طريق الجمعيات الإدارية»

شروطاً ووجّه القوة توجيهاً محدوداً؟ «وهل تكون القوة أوّل علاج، أو أنّ آخر الدواء الكي؟».

وبعد هذه الأسئلة يجيب السائلين، فيقول: إنّ الثورة أعنف مظاهر القوة، ومن هنا كان نظر الإخوان المسلمين إليها أدق وأعمق، وخاصة في وطن كمصر جرب حظه في الثورات فلم يجنِ منها إلا ما تعلمون، وبعد كل هذه التقديرات أقول لهؤلاء السائلين: إنّ الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وهم حين يستخدمون هذه القوة يحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح.

ومن أجل تأصيل حركية التنظيم الموازي، عمل البنا منذ نشأة الجماعة على أن يقوم عناصره بنشر الفكرة العامة بين الناس، وجعل نظام الدعوة في هذه المرحلة عن طريق الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام، ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية، وكل شُعَبِ الإخوان تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، ثم التكوين باستخلاص عناصر تحمل أعباء «الجهاد» وضم بعضها إلى بعض، ونظام الدعوة ـفي هذه المرحلةـ صوفي بحت من الناحية الروحية، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين «أمر وطاعة» من غير تردد ولا مراجعة ولا شكٍّ ولا حرج، وتُمثِّلُ الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج الذي وضعه البنا نفسه، ثم التنفيذ، وهي مرحلة جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية.

بناء على ما سبق أنشأ البنا عام ١٩٤٠ جهازاً داخل الجماعة؛ سمّاه «النظام الخاص»، يضم إليه من أفراد الجماعة من يلتزمون بتعاليمه وتوجيهاته، ويتميزون باللياقة البدنية، والقدرة على الاحتمال، والسمع والطاعة، وكلَّف (٥) بالإشراف عليه واختيار جنوده، وكان وراء تكوين هذا النظام عدة أهداف يسعى إلى تحقيقها؛ أوّلها: مقاومة الإنجليز الذين يحتلون مصر والسودان وغيرهما من بلاد العرب والمسلمين. وثانيها: مقاومة المشروع الصهيوني، وثالثها: حماية الدعوة من أعدائها الذين قد يحاولون اقتلاع جذورها، وإيقاف مسيرتها، وإعاقة حركتها، بقانون القوة، ورابعها: غرس روح الجهاد من أجل السعي إلى تغيير الحكم العلماني الذي برأيه لا يحكم بما أنزل الله، ولا يحتكم إلى شريعة الإسلام، عن طريق «انقلاب عسكري» تكون طلائعه من أبناء النظام الخاص .

وحول التكوين للتنظيم الموازي تحدث عدد من القيادات المنشقة في الجماعة، يقول القيادي السيد عبد الستار المليجي: سارت الأمور في العلن فترة السبعينات على طريقة الأستاذ عمر التلمساني، ونال بطريقته ثقة جميع الأوساط الدعوية كالجامعات وجميع المؤسسات الدعوية كالأزهر والجمعيات الخيرية كالجمعية الشرعية وجمعية الخلفاء الراشدين وأنصار السنّة المحمدية، وأصبح صديقاً محبباً للجميع حتى السادات، غير أنّ المتعودين على العمل السرّي لم ترق لهم طريقة التلمساني، ومع كثرة الشباب المتدين وتهافته على كل قديم، ما كان للصياد المتربص أن تفوته الفرصة، وعادت ريمة إلى عادتها القديمة، وبدأت فكرة تكوين نظام خاص جديد قديم وبشخصياته القديمة نفسها: (مصطفى مشهور، وأحمد حسنين، ومن تبعهم من بقايا تنظيمات (٦٥) التكفيرية)، وكنت واحداً ممّن بايعوا المرحوم الحاج مصطفى على السمع والطاعة في المنشط والمكره، ضمن التنظيم الجديد، ولكن بنية مختلفة عنهم كما تكشف فيما بعد، فقد كنت أتصور أنّه يأخذ البيعة نيابة عن المرشد المعلن عمر التلمساني، وأننا جميعاً في مركب دعوي واحد، كما أنّني في هذا العمر لم يكن لي دراية بتاريخ التنظيمات السرّية الإخوانية.

ويردف قائلاً: لم يكد عام ١٩٨٥ ينصرم حتى بدأت إرهاصات القلق على أعصاب التنظيم السرّي، وبدأت طلائعهم تتقاطر على مصر بغير مبررات معقولة،

«عمر التلمساني نال بطريقته ثقة جميع الأوساط الدعوية كالجامعات وجميع المؤسسات الدعوية كالأزهر»

ولوحظ أنّهم يأتون ويرفضون الاندماج فيما هو قائم، وبدؤوا حملة من الشائعات حول إخوانهم الباقين هنا في رحاب الوطن، فنشروا مقولة الحي أبقى من الميت، وكانت تعني أنّ العمل بالأحياء «التنظيم السري» يفضل على العمل بالنقابات والجامعات والمؤسسات العلنية، وكان الهدف هو إسقاط نقاط القوة لتنظيم التلمساني، وتقوية العمل السري تحت قيادات جديدة وافدة.

وبدأت الجماعة تتبنّى إعلامياً على صفحات مجلاتها مفهوم «الجهاد»، وهو لا يحدث في العادة دون نظام خاص وجهاز سرّي، وعبر فقه يعتمد على ضرورة إعادة الخلافة، ومقاومة الاستعمار، وتحرير المسلمين، ومقاومة الظلم.

وصاغ سيد قطب أفكاراً رئيسة فصّل فيها أفكار البنا، وتجاوز بها بعض أفكار المؤسس، وكانت كلها تنظيرات أسهمت في دعم استمرار وبقاء الجهاز السرّي العسكري للجماعة، مثل مفهوم «الإسلام ثورة وانقلاب»، وتكفير المجتمعات المسلمة «التوحيد حاكمية سياسية وقانونية»، وأنّ النظام الإسلامي الشامل لا يقبل التبعيض «نظام مطلق»، ولا يتحرك إلا في محيط هو الذي يصنعه «الطهورية والعزلة الشعورية».

ويُعتبر مبدأ «الحاكمية»، الذي لعب سيد قطب دوراً أساسياً في ترسيخه من أهم الرؤى التي تتمحور حولها المرجعية الفكرية والإيديولوجية للجماعة، وكان له التأثير الكبير على أعضائها بجميع فئاتهم، ممّن تشبّعوا بأفكاره الخطيرة الداعية إلى تحقيق الشريعة ولو بالقوة والعنف من أجل الوصول إلى الحكم.

كيف دعم الإنجليز فكرة جماعة الإخوان؟

شهدت فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية نمواً ملحوظاً للحركات الدينية في كل الأقطار العربية، وهي التي ظهرت فيها جماعة الإخوان أيضاً، وبتحليل أسباب ذلك سنجد أنّ الاحتلال الإنجليزي كان يهدف لضرب المرجعية الإسلامية للدولة العثمانية عن طريق دعم تلك التيارات الدينية المتعارضة مع المذهب الصوفي التقليدي السائد في هذا الوقت، وهنا سنتوقف عند اثنين من الشخصيات المحورية، كانا مرتبطين بالإنجليز، ساهما دون مواربة في تأهيل حسن البنا، لينشئ جماعته وفروعها من خلال التمويل والتخطيط لإفشال المنطقة العربية والإسلامية، تحت عنوان عريض وهو تأسيس مجتمع إسلامي.

محمد رشيد رضا والرحلة للبنا

قدم الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥) إلى مصر قادماً من لبنان، وتعرف إلى (متشل انس) الذي كان موظفاً بوزارة المالية المصرية وقد مدحه رشيد بوصفه أنّه أشد الإنجليز استقلالاً في الفكر وحرية في الرأي، وهو الذي عقد الصلة بينه وبين الشيخ محمد عبده، حيث سيقوم الأخير عن طريق علاقته بالمندوب السامي البريطاني اللورد كرومر بتقديمه إلى مجالس الباشوات وكبار رجالات الدولة المصرية.

يقول د.أحمد صبحي منصور في موقع «الحوار المتمدن»: أرسل الإنجليز رشيد رضا في رحلات مختلفة تسبقه فيها شهرته كعالم مسلم وخليفة الإمام محمد عبده، وكان في رحلاته يجتمع بالأمراء والملوك والقادة، حيث يتحدثون معه بحرية واثقين من مكانته لدى بريطانيا، فقام بزيارة للهند (دُرّة التاج البريطاني) والتي من أجلها سيطرت على إمارات الخليج، وفي هاتين الرحلتين تم استقبال رشيد رضا بحفاوة بالغة، وأجرى محادثات مع بعض الحكام، وفي طريق عودته من الهند إلى

«شهدت فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية نمواً ملحوظاً للحركات الدينية في كل الأقطار العربية ومنها جماعة الإخوان»

مصر مرَّ بعُمان والكويت وكلها بلاد كانت مستعمرة من الإنجليز. وكان وصوله إلى مسقط في ١٢ جمادى الأولى عام ١٣٣٠هـ بواسطة سفينة إنجليزية حملتْه من الهند إلى مسقط، والتَقَى هناك بسلطانها السيد فيصل وبعض رجالها، كما قام بإلقاء بعض الخُطَب والمواعظ في بعض مساجدها، وأقام بعدها في الكويت أسبوعاً أيضاً، ألقى فيه العديد من الخطب والمواعظ في بعض مساجدها.

يدلل د.أحمد الشرباصي، في كتابه عن رشيد رضا على علاقته بالإنجليز، وهي العلاقة التي ستؤثر في حسن البنا فيما بعد، فيقول: بين يديَّ الآن مذكرة كتبها رشيد رضا بخط يده في أوائل عام ١٩١٥م (١٣٣٤هـ) وقدَّمها إلى رجال الدولة البريطانية في مصر، وقد بدأ رشيد مذكرته في ملحق إضافي بيَّن فيها سبب كتابته هذه المذكرة، وذكر أنّ بعض أصحابه السوريين جمعوه مع (الكولونيل هوكر باشا) الذي سأل رشيد عن موقف العرب إزاء دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة (الحرب العالمية الأولى) مع ألمانيا فأجابه رشيد بأجوبةٍ تمنَّى الكولونيل كتابتَها له لأهميتها، ولأجل دراستها مع رجال حكومته. كما حرص على ذلك مدير المخابرات في مصر (الكابتن كليتن)، فكتب رشيد هذه المذكرة من أربع عشرة صفحة مع ملخص لها في صفحتين، أمَّا الملحق الإضافي لها فهو في خمس صفحات، حتى إذا اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى العام ١٩١٤م وانضمَّت تركيا إلى ألمانيا ضد إنجلترا وفرنسا انحاز إلى جانب الإنجليز.

وفي كتابه عن رشيد رضا «معاهدة نجد»، أو «كيف أصبح الإسلام الطائفي إسلاماً صحيحاً»، يقول الباحث حمادي الرديسي إنّ «رضا قد أخرج الوهابيين من خانة الهرطقة، ليجعلهم في خانة العقيدة السليمة، وأظهر خصوم الوهابيين على أنّهم حلفاء لإنجلترا واليهود الذين يعملون على محو الإسلام من على وجه الأرض، وقد قام بنقل هذا الكره للغربيين واليهود إلى حسن البنا».

«محب الدين الخطيب دعم حسن البنا لتأسيس جمعية الإخوان المسلمين وعمل مستشاراً ومرشداً فكرياً له حتى مقتله»

بالفعل يعترف حسن البنا في مذكرات «الدعوة والداعية» بتأثير الشيخ رضا عليه، وأنّه كان دائم الحضور في مجالسه، وأنّه قد تأثر كثيراً بما كانت تنشره مجلة المنار، وحاول إعادة إصدارها بعد وفاته.

يقول ثروت الخرباوي في حديث صحافي إنّ «البنا استغلّ قول الشيخ محمد رشيد رضا، نتعاون في ما اتّفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وارتبط بالإيرانيين، الذين استضافهم في دار التقريب.

ويؤكد الدكتور عصمت حسين نصار أستاذ الفلسفة والفكر العربي المعاصر بكلية الآداب بجامعة القاهرة، في حوار إعلامي: استفاد البنا من رشيد رضا فكرة الوحدة الاسلامية، وفكرة التكتل والتجهيز الدائم للمعارك القادمة، وبالطبع أصبح أعضاء جمعية الشبان المسلمين، وأعضاء جماعة الإخوان تلاميذ غير مباشرين، ثم إنّك لو سألتنى عن أكثر الذين أثّر فيهم رشيد رضا سأقول لك في البداية حسن البنا، ومحمد إقبال، والمودودى، وسيد قطب، والهضيبي، وبن باز وابن عثيمين، ولعلك تلاحظ أنّ بإمكانك أن تضعهم جميعاً في جانب واحد، وهو تيار وإن كان الأكثر محافظة، فهو الأكثر تواجداً والأكثر أتباعاً.

محب الخطيب وعلاقات التأسيس

بالتوازي مع جهود رشيد رضا مع البنا، انتقل محب الدين الخطيب (١٨٨٦-١٩٦٩) من دمشق إلى القاهرة بعد أن عمل في القنصلية البريطانية في الحديدة باليمن، وكان يترأس جريدة القبلة الناطقة باسم الثورة العربية التي قادها الكولونيل لورانس بالحجاز.

«يعترف البنا في مذكراته بتأثير الشيخ رشيد رضا عليه وأنّه كان دائم الحضور في مجالسه»

الباحث محمد عبد الرحمن برج، في أوراق محب الدين الخطيب، التي حصل عليها من أبناء الأخير، أثبت وجود اتصالات بين الجمعية السرية العربية وأجهزة المخابرات الإنجليزية، وهي وثيقة صادرة عن الجمعية التي أسسها رشيد رضا، لتوحيد كلمة الأمراء العرب في الجزيرة، يطالبهم فيها بالاتحاد والوثوق بمطالب الإنجليز، والوقوف على الحياد وعدم مناصرة الدولة العثمانية، ورغم ذلك فإنه دعا لإعادة الخلافة الإسلامية بعد سقوطها!

وقد أصبح اسم محب الدين الخطيب مقترناً بالشيخ محمد رشيد رضا بالقاهرة، وعمل في هذا الوقت بتحرير جريدة الأهرام وأسس المكتبة السلفيّة ومطبعتها وأصدر مجلة الزهراء، ثم أسس مجلة الفتح، مستهدفاً تثقيف النشء، وطور العلاقة مع حسن البنا، حين ساهم في تأسيس جمعية الشبان المسلمين بالتعاون معه ومع عدد من شخصيات مصرية منهم أحمد تيمور ومحمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق.

يقول يوسف القرضاوي في مذكراته عن علاقة محب الدين الخطيب مع حسن البنا: «السيد محب الدين قد اكتشف من قديم موهبة الشاب النابه، المتخرج حديثاً في دار العلوم، حسن البنا، وطلب إليه أن يكتب في مجلته (الفتح) وشجعه على ذلك، فكتب أول مقال له بعنوان «الدعوة إلى الله»، وكان الخطيب يباهي بأنّ حسن البنا من اكتشافه، وأنه ممن ساهم في صناعته».

يقول محب الدين الخطيب عن حسن البنا: عرفتُه في تلك الغرفة المتواضعة من دار المطبعة السلفية سنة ١٣٤٦هـ، وكنتُ ابنَ صنعة يوم اكتشفت بيني وبين نفسي حاجتنا إليه.

وكان محب الدين الخطيب هو من أسس مكتبة سلفية عنيت بنشر كتب التراث الديني السلفي، وساهم في تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية، وكذا جمعية الشبان المسلمين، التي كان من المفترض أن تقوم بدور تثقيفي جهادي كما يزعم القريبون من فريق التأسيس، فضلاً عن دعمه حسن البنا لتأسيس جمعية الإخوان المسلمين، وعمل مستشاراً ومرشداً فكرياً له حتى مقتله، كما اشترك في الجمعية السرية «العربية الفتاة».

نجح حسن البنا في تكوين وإنشاء جماعة الإخوان، ونجح الإنجليز في إنشاء حركات متوافقة وأحياناً متعارضة، إما قومية عروبية أو دينية إسلامية، في تفكيك الدعوة للجامعة الإسلامية، التي كانت ترعاها تركيا، ولعب محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب دوراً محورياً في ذلك بدعمهما لمرشد الجماعة، لتبدأ دورة في التاريخ لم تنته حتى الآن.

حركية الإخوان الجديدة.. هل تعني إلغاء منهج حسن البنا؟

إنّ الحركية الجديدة التي يُنادي بها المفكرون الإخوان ومنهم جاسم سلطان، لا تُعني إلغاء «منهج حسن البنا»، بل تحديث أفكاره، وتحويل التنظيم إلى «تيار فكري» داخل المجتمعات لا يقوم على الحزبية «التنظيم»، وهذه هي خطة الجماعة المستقبلية، وهي التحول من تنظيم مغلق إلى تيار واسع يستوعب كافة أطياف المجتمع.

التحول لتيار عام

في العام ٢٠٠٦ أقيم في الدوحة مؤتمر كبير تحت عنوان «مستقبل التغيير في العالم العربي»، بحضور هيلاري كلينتون، وقيادات الإخوان والقريبين منها، تمخض عنه الكثير من المخرجات، التي من بينها العمل على مشروع يسمى بمشروع النهضة، يقوده جاسم سلطان، أحد مؤسسي الجماعة قبل حلها في العام ١٩٩٩.

سلطان تعلم الطب في القاهرة في السبعينيات، وعاصر قادة الحركات الإسلامية في الجامعات، مثل عبدالمنعم أبو الفتوح، وعصام العريان، وأصبح من قادة الجماعة في قطر قبل أن يساهم في قرار حل التنظيم بعد مراجعات وتفكير طويل امتد سنين.

يقول جاسم سلطان: «لا ينكر عاقل أنّ الاجتماع على الخير وللخير واجب؛ شرعاً وعقلاً، وأنّ العمل المنظم غير العمل الذي يخضع للفوضى والارتجال، لكن

«ما يُنادي به المفكرون الإخوان ومنهم جاسم سلطان لا يعني إلغاء منهج البنا بل تحديث أفكاره»

السؤال الحقيقي ليس عن التنظيم كمسلَّمة فكرية، لكن عن فكرة التنظيم وبيئته وأهدافه وطريقة عمله، ومنظومته الفكرية التي يقف على أساسها».

إذن فسلطان لا يحرّم العمل التنظيمي، لكنه أخضع جدواه لفقه الضرورات، وكيف أنّ إسباغ القداسة على الموروث التنظيمي وتحميله صبغة الصلاحية وعبور الزمان والمكان دون مراعاة أثر الزمن والخبرة يفقده جدواه، ومن هنا تأتي أهمية تحويله إلى تيار عام، وتفكيك التلاحم الذي حدث في فترات معينة بين الإسلاميين والهياكل التي أنشأوها، والأدوات التي استخدموها في الدعوة، والأفكار التي طرحوها على جماهيرهم وعلى الناس.

من هنا نفهم أنّ التحول إلى «تيار عام» ما هو إلا نوع من الحركية الجديدة، التي ستمكّن الجماعات من تغيير الشكل والإبقاء على الجوهر العام لمؤسسها حسن البنا، والحفاظ على أهدافها نحو الانتشار والسيطرة، بالاعتماد على استراتيجيات وواجهات جديدة ومُتعددة.

التخلي عن الشكل التنظيمي

يرى جاسم سلطان في كتابه (أزمة التنظيمات الإسلامية.. الإخوان نموذجاً) أنّ تأطير الدعوة الإسلامية في شكل منظم بطريقة ما يلقى قدراً من الانتقاد والتشكيك في جدواه، وما جلبته من مصالح ومنافع، يقابلها في الوقت ذاته قدر من الدفاع الشرس عن الهياكل المتوارثة داخل الحركة الإسلامية، حتى وإن فقدت صلاحيتها.. إذن، وفق سلطان، التخلي عن الشكل التنظيمي يعني تطبيق الرؤية التي تعني بمسألة الجدوى من أي فعل منظم باعتباره فعلاً غير مقدس وقابلاً للنقد والمساءلة والمحاسبة، لأنّ التجارب لا تأخذ شرعيتها من السماء، ولكن من قدرتها

«يرى سلطان في كتابه «أزمة التنظيمات الإسلامية» أنّ تأطير الدعوة الإسلامية يلقى قدراً من الانتقاد والتشكيك في جدواه»

على الإنجاز في الأرض، فالقدر ليس الشماعة التي يعلق عليها الناس أخطاءهم وقصورهم وتراخي أدوارهم.

ويؤمن الآن أصحاب هذا النهج بأهمية التخلي عن «الحزبية»، والثورة على نُظم الأفكار «المأزومة» التي تسير بها جماعة الإخوان، وجعلتها تتحمل مسؤولية تراجع الحركة الإسلامية واستنزافها لتمسكها بالقديم والتخلي عن متطلبات الواقع.

إنّ هذا التخلي عن الشكل التنظيمي والتحول لتيار وفق شروط النهضة التي تحدث عنها جاسم سلطان في لقاءات تلفزيونية متعددة لا يحتاج إلى شروط انتماء، ويتفاوت الناس فيه في العطاء كل بقدر ممكناته، ويتعاونون على إنجاز المهام بأريحية ودون حساسيات، وينظر فيه للأهداف وتحقيقها وليس إلى المكاسب الحزبية، كما أنّه يدعم كل الأوجه ما دامت تصب في ذات الاتجاه.

يقول في أحد فصول كتابه: «الجماعة أدت دوراً كبيراً، وما زالت في الفضاء العام، ولا بد من رؤية جذور الأفكار التي تحملها وقادت باستمرار إلى مآزقها المتنوعة وهي خارج السلطة أو في السلطة على قدم سواء. ومن دراسة (البنا) يمكن فهم الأفكار العميقة التي تحرك المجموع اليوم وتؤثر في قراراته، ومن هنا يمكن الجماعة أن تطور نموذجها الفكر عبر مراجعات جادة».

يضيف في نفس الكتاب: «إننا حين ندعو إلى المراجعات لا نجعل الأمر يبدو وكأن الحل بيد التنظيمات إنّ هي أصلحت منظومتها الفكرية، بل الجهد الأساس المطلوب هو في إيجاد تيار فكري قائم على منظومة من التصورات التي تؤسس لمسار جديد... إنّ هذا التيار وأهميته اليوم هما أكثر إلحاحاً من المراجعات

«سلطان: الشكل التنظيمي الذي اتخذته الحركة الإسلامية طيلة العقود الماضية تجاوزه الزمن»

والإصلاحات في الأجسام التنظيمية القديمة ذاتها التي على الرغم من أهميتها فهي ليست المستقبل، فالأمل الحقيقي هو في هذه التيارات الناشئة».

ويعتبر أنّه لا سبيل أمام «التنظيم المأزوم» إلا بهذه المراجعات لإنتاج عصر جديد تحلم به «جماهير الأمة»- كما وصفهم: «كلما أسرعت بمعالجة فكرة التمكن من المجتمعات وجففت منابعها الفكرية لصالح فكرة تمكين المجتمعات كلما سهلت عملية الانتقال السلس إلى العصر الجديد».

ملخص الرؤية الجديدة

يقسّم سلطان تيارات الإخوان تقسيماً يحدد المجموعة المسؤولة عن الخطايا، الأولى: قيادات وكوادر حزبية متنفذة، ذات مصالح نفعية حادة متبادلة، لا تقبل بأي نقد أو تداول حقيقي لقيادة الحركة أو مشروعها الفكري أو السياسي.

الثانية: هم المتأثرون بثقافة تقليد جامدة، على أسس الإخوان التربوية، التي يرون من خلالها كل جوانب الحياة، دون فقه فكري ولا وعي سياسي، لكنهم مجموعات مخلصة في الغالب، تُدفع لمواجهة المبدعين والنهضويين، من خلال المجموعة الأولى.

الثالثة: هم الشباب المتطلعون للتصحيح وتنمية أوطانهم ونهضتها، والذين أدركوا أن لا سبيل لذلك دون نقد منهجي لذات الفكر الإسلامي المعاصر.

ويحدّد سلطان خطته في ٤ أطوار ومراحل هي:

١- الصحوة: وهي حالة من «صحا من نومه» ولم يضئ النور، فيتخبط هنا وهناك، فهي مرحلة حماس متدفق، وإحساس بالهوية، لكنها تفتقد الرؤية والوعي،

وكثيراً ما تتضارب فيها التحركات، ويكثر الخلاف (هي الإحساس بالذات وبالهوية).

٢- اليقظة: وهي مرحلة إضاءة النور، ومعرفة الوسط المحيط، فهي مرحلة وعي ورشد يلازمان الحماس، وهي مرحلة تنظيم الجهود العملية لتصب في اتجاه وهدف (هي فهم الواقع).

٣- النهضة: وهي نتاج مرحلة اليقظة، وثورة الأفكار، وتتجسد في تيار متدفق من العمل الراشد في كل مجالات الحياة العلمية والتطبيقية، ولا تتكامل حلقاتها إلا من خلال أداة الدولة (هي طريقة الفعل في الواقع).

٤- الحضارة: وهي النتاج المادي الملموس في كل المجالات من عمارة وفن وفكر وتصنيع وغير ذلك، وهي تمثل النموذج المنشود (هي ثمرة الفعل).

وفي كل كتاباته يشير سلطان إلى أنّ إلغاء التنظيمات سوف ينقل الأمة من طور الصحوة العاطفي (الحماس مع قلة الرشد وضبابية الرؤية) إلى مرحلة اليقظة الراشدة العاقلة حيث يتم تنظيم الجهود العملية وفق رؤية استراتيجية تجمع كل الطاقات. ومن هنا يعتقد أنّ فكرة التيار لا تتنافى مع الحياة الحزبية العادية، لكنها تتنافى مع الحزب الشمولي أو التنظيم الموازي.

وفي ذات الاتجاه يرى أنّ الشكل التنظيمي الذي اتخذته الحركة الإسلامية طيلة العقود الماضية تجاوزه الزمن، وأنّ على الحركة أنّ تسارع إلى تطوير نفسها للخروج من شرنقة التنظيمات والتحول إلى تيار عام، وهذا وفق رأيه هو الأنجح.

كيف يجند الإخوان أعضاء النظام الخاص السري؟

يمتلك الإخوان منهجاً تجنيدياً خاصاً لأعضاء النظام السري (الخاص)، يعتمد بشكل كبير على الانتقائية، والتربية العسكرية، والتدريبات الأمنية، وهو أسلوب قد تميز بالتعقيد الشديد، والدقة البالغة، كما أنّ العضو لا يكتسب العضوية الكاملة إلّا بعد فترة طويلة من التكوين تشمل العديد من الاختبارات الدقيقة، وقد اقتبسته من جماعة الإخوان تنظيمات أخرى أقلّ منها عدداً وخبرة.

المكوّنون للعمل التجنيدي

شكّل الإخوان جماعة يُسمّون (المكوّنون) يتخصصون في العمل التجنيدي واختيار أعضاء النظام الخاص، كما ورد في حكم المحكمة وهي تستعرض الأوراق المضبوطة في قضية السيارة الجيب: «يقابل المكوّن الشخص (المرشح للانضمام إلى النظام) على انفراد في مكان محدد كمنزل، ويكون الضوء مناسباً، بحيث يكون للمقابلة الأثر المطلوب في نفس الشخص، ويتم التكوين في عدة جلسات؛ الجلسة الأولى: التعارف، وفيها يكون السؤال عن نواحي الجهاد والأنشطة التي يشترك فيها الفرد والأعمال التي ساهم فيها، مع النصح بالعدول عن المكيفات إذا كان الشخص من المتعودين عليها. الجلسة الثانية: روحية، تشمل تلاوة القرآن والمأثورات والصلاة، مع تأكيد الثقة التامة بالقيادة، وسؤال شخصي عن عمل ما، لاستيضاح مدى اقتناعه بمشروعية العمل، وتوجيهات خاصة بالكتمان والصمت والطاعة وحسن تكييف الأمور، وتغطية المواقف والهرب من التورط، وأمّا الجلسة الثالثة، فتتم فيها التوجيهات اللازمة عند تأدية العمل بأن يكون الشخص طبيعياً، ولا يتكلف عندما يحمل شيئاً أو يقوم بعمل، وأن يفكر سلفاً في كل حركة يقوم بها مع ضرب الأمثلة لكل حالة بقصة، ثم تكليف الشخص بكتابة وصيته، ويسلمها للقائم بالتكوين. وفي الجلسة الرابعة يتم الاختبار بتكليف صامت وفي مكان ناء مع تكليف

شخص آخر بمراقبته. وفي الجلسة الخامسة يكلف الشخص بعمل له، ويتم تقييم العبرة من التكليف والنتائج والعلاج على ضوء الجلسات السابقة، وفي حالة النجاح في الاختبار السابق يقدم الشخص».

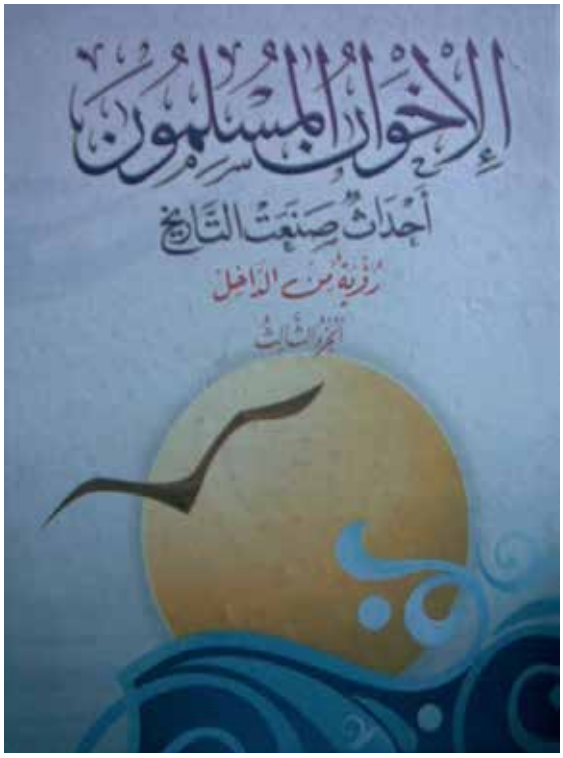

كتاب «الإخوان أحداث صنعت التاريخ» لـمحمود عبد الحليم

وفي كتاب محمود عبد الحليم (الإخوان أحداث صنعت التاريخ) أسلوبان من أساليب التجنيد لأعضاء النظام الخاص للإخوان المسلمين؛ الأوّل عند بداية التكوين، وكان الأسلوب المتبع هو أن يرتبط بالأخ عبد الرحمن السندي، بصفته المسؤول عن إعداد هذا الجيش المسلم في تنظيم الاخوان، كل من يرى الرأي نفسه ويشعر بالشعور نفسه، ويجب الارتباط بالجيش المسلم الذي يجري إعداده لأداء فريضة الجهاد.

تطور بعد ذلك أسلوب تجنيد الأعضاء بعد استكمال البناء التنظيمي للنظام الخاص، فأحد أفراد الجيش يرشح شخصاً يرى من روحه من يناسب التجنيد ثم يرسل الترشيح إلى القيادة العليا، مرفقاً به بيان الأسباب التي دعت الفرد إلى هذا الترشيح، مع تقرير شامل عن حالة المرشح الصحية والاجتماعية، وطباعه البارزة، وميوله الحزبية وثقافته.

يقول عضو النظام الخاص محمود الصباغ في مذكراته: تبدأ بعد ذلك مرحلة التكوين للعضو الذي تم تجنيده للانضمام إلى النظام الخاص، وتتكون هذه المرحلة من (٤) خطوات، مدة كل منها (١٥) أسبوعاً، تتضمن الأولى دروساً في المحاسبة وكتابة التقارير، ودراسة السلاح، وطريقة جمع الأخبار، ودروساً في القرآن الكريم، والإسعافات الأولية، وتدريباً رياضياً، وبعد الانتهاء من الدراسة تعقد

«شكّل الإخوان جماعة يُسمّون (المكوّنون) يتخصصون في العمل التجنيدي واختيار أعضاء النظام الخاص»

القيادة امتحاناً في ما ورد فيها، ينقل الناجحون فيه إلى المرحلة الثانية في التكوين وتشمل دراسة قانونية، ودراسة عملية وتطبيقية في مجال رسم الخرائط وتقدير المسافات ودراسة البوصلة، إضافة إلى بعض التدريبات الرياضية والروحية. ويجري امتحان ينتقل من يجتازه إلى المرحلة الثالثة التي تشمل تعليم قيادة الدراجة النارية والسيارة والإسعاف وتدريبات رياضية، ودراسة منطقة معينة في القاهرة والأقاليم ورسم خارطة جغرافية لها وبيان الأبنية المهمة تفصيلياً. كذلك يجري امتحان يؤهل من اجتازه للمرحلة الرابعة التي تشمل قيام كل فرد من أفرادها بحصر قوات الشرطة في قسم معين، وحصر قوات المرور وأماكنهم في منطقة معينة، ودراسة عملية لمدينة القاهرة، وذلك ببيان أحيائها وعلاقتها بعضها بالبعض الآخر، ومسالكها، ومواصلاتها، وكيفية مهاجمة مكان ما، ودراسة حربية، ودروساً في القانون وتدريبات رياضية ودراسة في التعقب يقوم بها كل فرد. ثم يعقد امتحان يكون من اجتازه قد اكتسب العضوية الكاملة في التنظيم الخاص للإخوان المسلمين.

هيكل النظام الخاص

يوضح الصباغ في مذكراته أنّ هيكل النظام الخاص العنقودي عبارة عن جيش من (٣) هيئات: القيادة، والأركان، والجنود، وتتكون القيادة من مجلس مكوّن من (١٠) أشخاص مهمتها دراسة طرق التنفيذ لما يصل من خطط صادرة من الأركان، وتنفيذ كل ما هو ممكن عمله، وإصدار بيانات يشترك فيها جميع الأعضاء، وبيان الصعوبات القائمة في طريق تنفيذ ما يراه المجلس غير قابل للتنفيذ، كما أنّ من وظيفة هذا المجلس الإشراف التام على أحوال الجند والاطمئنان على دوام قوتهم المعنوية وذلك بدارسة التقارير التي تصل عن كل فرد أو كل مجموعة.

«يتم إلزام العضو المرشح بضرورة الكتمان وعدم إفشاء السر، وإلّا تعرّض للموت»

وينقسم عناصر النظام الخاص في وقت السلم إلى (٣) أنواع؛ الأول يمكن أن يكون بعيداً عن النشاط الظاهري، وهذا النوع يجب أن ينقطع انقطاعاً تاماً، ويمكن تكليفه بدراسات أكثر اتساعاً وبأعمال أكثر خطورة، والنوع الثاني لا يبتعد عن النشاط الظاهري ويكون معدّاً ولا يستخدم أبداً إلا وقت الحرب العلنية.

ومن خلال ما سبق توجد الملاحظات التالية: إنّ عملية التكوين لعضو النظام الخاص تشمل الجوانب الروحية والاجتماعية والنفسية بالنسبة إلى الشخص المرشح للانضمام إلى العضوية، وذلك بحيث يتم دمج العضو في الجماعة دمجاً كاملاً، كما أنّ هذه المرحلة تتسم باكتسابه العديد من المهارات الرياضية والعسكرية وجمع المعلومات والأخبار وإعداد التقارير. وتتسم بطول الفترة، فمرحلة التكوين تتم خلال (٦٠) أسبوعاً تسبقها مرحلة الاختبار، وهي تستغرق حوالي (٨) أسابيع، فإجمالي هذه الفترة حوالي (٦٨) أسبوعاً، أي حوالي عام ونصف العام، وهي فترة طويلة يخضع خلالها العضو المرشح للمراقبة وللعديد من الاختبارات الدقيقة، النظرية والعملية.

كما يتم إلزام العضو المرشح بضرورة الكتمان وعدم إفشاء السر، وإلّا تعرّض للموت، وقد جاء في هذا الصدد أنّ أيّ خيانة أو إفشاء سر، بحسن قصد أو بسوء قصد، يُعرّض صاحبه للإعدام، وإخلاء مسؤولية الجماعة منه، مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة، ويتم إلزامه كذلك بالثقة التامة في قيادته المباشرة.

وما نصل إليه هو أنّ أسلوب التجنيد السياسي لأعضاء جماعة الإخوان، سواء في محيطها العام أو النظام الخاص، يتمثل في تعدد أساليب التجنيد السياسي للأعضاء وتطورها بما يتناسب ومراحل تطور الجماعة، سواء بالنسبة إلى مستوى الدعوة العامة العلنية أو مستوى التنظيم الخاص السري، الأمر الذي يعني توافر الخبرات التنظيمية ذات الكفاءة والفعّالة لدى الجماعة.

عملية تكوين العضو المرشح للجناح العسكري الخاص تبدأ بمحاولة دمجه دمجاً كاملاً في الجماعة

كما أنّ التجنيد للتنظيم العسكري في مفهوم الإخوان لا يتوقف عند إبداء العضو رغبته في الانضمام إلى الجماعة، بل يمتد إلى مرحلة قد تطول أو تقصر بحسب نوع العضوية التي سيرشح لها العضو الراغب في الانضمام، يتعرّض خلالها العضو المرشح لإعداد فكري ونفسي وبدني ومهاراتي يتناسب ونوع العضوية المرشح لها ودرجتها.

والأهم أن عملية تكوين العضو المرشح للجناح العسكري الخاص تبدأ بمحاولة دمجه دمجاً كاملاً في الجماعة، وتتم هذه العملية على مراحل بحيث يشعر العضو أنّ هذا أمر طبيعي.